دار الثقافة

الدكتور القس صموئيل حبيب

هل حقا قام المسيح ؟!



هل حقًا قام المسيح !

بقلم

جيمس مارتن

نقله إلى العربية

الدكتور القس صموئيل حبيب

طبعـــة ثانيـــة

صـــدر عن دار الثقافـــة - ص . ب ١٢٩٨ - القاهـرة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠١٤ / ١٩٩٢
جمع فـى سيـوبـرس ت : ٩٠٢٦٦٧ - ٩٠٦٦٨٣
طبع بمطبعـة دار نـوبـار للطبـاعـة - شـبـرا - القاهـرة .

محتويات الكتاب

الموضوع الصفحة

مقدمة الدار

هذا كتاب من أحدث ما نشر فى اللغة الإنجليزية عن قيامة المسيح انتهت طبعته الأولى فور صدوره .

ومؤلف هذا الكتاب ، القس جيمس مارتن ، راعى كنيسة High Carntyne بجلاسجو ، باسكتلنده . وقد تخرج من جامعة جلاسجو بدرجة امتياز ، وتخصص فى دراسة العهد الجديد .

واعتمد المؤلف فى كتابه على ما جاء فى العهد الجديد ، مفندًا أراء المعارضين ، مستندًا إلى الدليل العلمى المنطقى بجانب الدليل الكتابى ، وما أن وصل إلى نهاية الكتاب حتى شرح تأثير القيامة فى حياتنا كأفراد ، والتزامنا أن نعيش متأكدين من حضور المسيح الحى معنا ، ورفقته لنا على الطريق .

وإننا أتضرع إلى الله أن يستخدم هذا الكتاب لتثبيت من يساورهم الشك فى صحة القيامة ، وهدايتهم لمعرفة الحق الإلهى ، ولتقديس نفوس كثيرة للمقام من الأموات .

دار الثقافة

مقدمة المؤلف

هل قام يسوع من الأموات ؟ يبحث هذا الكتاب الأدلة التي تثبت قيامته . وأدلة قيامة المسيح ــ كما جاءت فى هذا الكتاب ــ تظهر قوية من الوجهة التاريخية ، بل أقوى مما يظن جمهرة المؤمنين أو غير المؤمنين . والبحث لا يترك مجالاً للشك فى أن يسوع الناصرى ، بعد أن مات على الصليب ، أقيم من الأموات ، ورآه تلاميذه خلال الأربعين يومًا التالية . كما أن قيامته تعنى أكثر من قيامة روحه ! حيث أن جسده أيضًا قد قام ، وبقى القبر فارغًا .

ليس هناك حادث فى التاريخ يزيد أهمية وخطورة على قيامة يسوع . وليس هناك حادث يهمنا اثبات صحته كهذا الحادث لما له من تأثير خطير الشأن . لأنه إن كانت القيامة حقيقة ، فإن انجيل المسيح حقيقى . ان لم تكن هناك قيامة ، فلا كيان للإنجيل ! كتب الرسول ، أيام أن كانت الكنيسة فى مهدها ، قال بالحرف الواحد : « إن لم يكن المسيح قد قام ، فباطلة كرازتنا ، وباطل أيضًا إيمانكم ». قيامة يسوع هى حجر الزاوية لإيماننا ، وكان فى عهد الرسل السبب ، بل الحافز الرئيسى لكرازتهم بالإنجيل ــ كما يظهر ذلك جليًا فى سفر أعمال الرسل .

يتساءل النقاد أحيانًا ــ « لماذا لا تمتنع الكنيسة عن التبشير بقيامة يسوع ، خاصة وأن القيامة حجر عثرة فى سبيل إيمان الكثيرين ؟ لماذا لا نكتفى بالتبشير بالإنجيل البسيط ؟» والإجابة على ذلك واضحة ، وهى أنه إن أنكرنا حقيقة القيامة ، فلا يبقى لنا الإنجيل . فلقد سعى رجال العهد الجديد أن يبلغوا هذه الرسالة إلى كل مكان . لقد كانت « القيامة » بشارتهم المفرحة . ولم تبد قط بادرة من واحد منهم تدل على أن القيامة لا تمس حيوية الإنجيل ، أو أنه من الممكن أن يوجد الإنجيل بدونها . قال أ. م. رمزى : « الإنجيل بدون قيامة ــ عند الكنيسة الأولى ــ لم يكن مجرد إنجيل لم يكتمل آخر فصل فيه ، بل لم يعتبروه انجيلاً على الإطلاق ».

فما أبدع الرسالة التى قدمها الرسل للعالم . قال ك. أ. م. جوآد مرة ، إنه لو أعطى فرصة ليتحدث إلى واحد من رجالات الماضى ، لكان يتمنى أن يتحدث إلى يسوع الناصرى ، ويسأله أهم سؤال فى هذا العالم : « هل قمت من الأموات ، أم لا ؟». واكتفى دكتور جوآد بهذا التعليق .

إن تصديق حقيقة القيامة التاريخية يختلف عن الإيمان بها . فالإنسان لا يعتبر مسيحيًا لمجرد مصادقته على حقيقة ما عن المسيح ، تاريخية كانت أم غير تاريخية ، رغم أن هذه المصادقة لازمة مبدئيًا ـــ ولكنه يصير مسيحيًا بإيمانه بالمسيح المقام . وهذا الإيمان من عمل إرادته ، كما أنه هبة الله .

يقولون عن « بلوندين »، البهلوان المشهور الذى يسير على الحبل ، إنه مرة حمل رجلاً ، وسار على الحبل ، أمام جمهور من المعجبين . وكان فى مقدمة الجمهور ولد ينظر إلى حركة قدمى البهلوان ، وقد فتح فمه ذعرًا ! نظر « بلوندين » للولد وقال له : « هل تصدق أنه يمكننى أن أحملك وأسير بك على الحبل ؟» فقال الولد : « أنا متأكد أنك تقدر ». فقال بلوندين : « هيا احملك ». ولكن الولد رفض الدعوى خوفًا !!

هذه القصة تصور لنا الفرق بين الاقتناع بصدق حقيقة القيامة التاريخية ، وبين الإيمان بالمسيح المقام . لقد صدق الولد أن « بلوندين » قادر ، ولكنه لم يستأمن « بلوندين » على حياته . لا يكفى أن تؤمن بأن يسوع قد قام من الأموات ، وأنه حى اليوم رغم أن هذه الخطوة أساسية للإيمان . الإيمان يحمل الإنسان إلى أبعد من ذلك ، يحمل الإنسان إلى أن يقدم نفسه ، بثقة كاملة ، بين يدى يسوع الحى .

جيمس مارتن

الفصل الأول

بذهن مفتوح

منذ قرن من الزمان ، كتب الدكتور توماس ارنولد (من رجبى)، الذى كان فى وقت ما أستاذًا للتاريخ فى جامعة اكسفورد ، قال : « لقد طلب منى لأعوام كثيرة أن أدرس التاريخ القديم ، وأن أفحص أدلة المؤرخين عن صحة حقائقه . ولست أجد فى تاريخ الجنس البشرى كله ، حقيقة دعمها التاريخ بأدلة قوية ، كما يراها شخص محايد ، كالحقيقة الكبرى التى أعطاها الله لنا ، أن المسيح مات ، ثم قام من الأموات ».

إن الدليل على قيامة المسيح قوى جدًا ، فلماذا يشك الكثيرون فيها ؟ يتضح لنا أن كثيرين من أولئك النقاد يتحاملون بشدة على الإيمان بحقيقة القيامة ، لدرجة أنهم يجدون من الصعب جدًا أن يكونوا محايدين عند دراستهم لهذا الموضوع . وإذ قد استبد بهم « العقل المودرن »، يجدون أن حدوث قيامة من أبواب المستحيلات ! انهم متأكدون أن المعجزات لا تحدث ، ولا يمكن أن تحدث ، لن تحدث أبدًا . لهذا فالقيامة لا يمكن أن تكون صحيحة !!!

لسنا نتوقع إجابة ممن يرفضون المصادقة على صحة قيامة يسوع من الوجهة التاريخية ، فإنه يوجد البعض الذين لا يثقون فى قيامته ، رغم أنهم يعتقدون أن يسوع يحيا اليوم فى العالم بسبب تأثيره فى أتباعه خاصة ، وفى العالم عامة . وهناك من يؤمنون أن قيامة يسوع كانت قيامة روحية فقط ، ويحاولون باخلاص أن يقضوا حياتهم فى صداقة قوية معه .. ولكنهم لا يعتقدون أنه قام بالجسد من الأموات ، وترك القبر فارغًا . ورغم أننا نرى نقصًا فى إيمان أولئك ، إلا أنهم طبقة متميزة عن أهل الشكوك . وهناك أيضًا الكثيرون الذين رغم إيمانهم المطلق بصحة القيامة ، إلا أن أسئلة وشكوكًا تساورهم بين الحين والآخر بخصوصها .

إن الشاكّ الذى يعتبر القيامة حادثة غير حقيقية ، يفسر ذلك الادعاء بأن نظرته العلمية للحياة . إلا أن بحثه فى الحقيقة لا يستند أبدًا على أسس علمية . فالبحث العلمى يحتاج إلى ذهن مفتوح ، محايد . يبدأ بالحجة المناسبة ثم يواصل بحثه فى نور هذه الحجة حتى يصل إلى النتيجة الواقعة . ولكن الكثيرين لا يتعبون أنفسهم بمعرفة تلك الحجة ، لأنهم يقررون لأنفسهم أن « القيامة » مستحيلة الحدوث وحيث أنهم لا يؤمنون بإمكانة حدوث المعجزة ، فلن يمكنهم أن يقوموا ببحث علمى .

فما معنى كلمة « معجزة »؟ يترجمها قاموس ما بأنها : « حادث أثر فى العالم المادى ، انحرف عن مسار قوانين الطبيعة المعروفة ، أو تفوق على ما نعرفه من تلك القوانين ». هذا تعريف واسع جدًا ، حيث أنه توجد حوادث وآثار كثيرة كهذه لا يمكن اعتبارها معجزات . وهذه الكلمة ترتبط « بالحوادث والآثار » التى تحدث كنتيجة مباشرة لعمل الله فى العالم الذى خلقه ، والذى فيه ما زال يعتنى بأولاده فى عطف ومحبة . لهذا ، فالمعجزات هى الأداة التى يستخدمها الله لكى تمهد السبيل لتواجه حاجة الإنسان ، أو على الأغلب ، تأتى استجابة للعبادة . وتكون الحوادث التى تتم بذلك معجزات ، لأنه ما كان من الممكن أن تتم بطريق آخر ، أو على الأقل ما كان من الممكن أن تتم بنفس هذا الطريق ، لو لم تكن معجزة !!

إنه من الجور أن تقول إن المعجزات لا تحدث ، ولا يمكن أن تحدث ! حتى العلم نفسه لا يقدر أن يقول ذلك . بل كل ما يمكن أن يزعمه العلم ، هو أن يقول : إنه لم يواجه قط حالة تثبت أن معجزة حدثت .

إلا أن البعض يقولوم ، مهما كانت الحجة ، لن نصدق أن معجزة ما تحدث ، لأن حدوث معجزة أمر مستحيل . هذا يذكرنى بقصة الفتاة التى كان جدها يسمع عليها جدول الضرب . سألها : ما قيمة «٦ × ٦ » ، فأجابت مفتخرة : « ٣٦ » . فسألها : « ٩ × ٩ » ، فأجابت : « ٨١ » . ثم سألها « ١٣ × ١٣ » ، فنظرت إليه الفتاة قائلة : « لا يوجد شيء كهذا » !! لقد

ظنت أن هذه العملية لا تتم ، لأنها غير موجودة في جدول الضرب الذى بيدها . وهكذا نتصرف أحيانًا . أن شيئًا لا نلمسه في دائرة تفكيرنا واختبارنا نحسبه غير موجود !

منذ أكثر من أربعين عامًا ، كتب جيمس أور يقول : « الأستاذ هكسلى ، والأستاذ و. ج. س. مل ، مرجعين هامين فى العلم . وكلاهما يقول إن المعجزة ليست مستحيلة من الناحية العلمية . إنها مجرد سؤال يعتمد على الحجة والدليل فقط ». وكان هذا عندما كان العلم فى مكانة مرموقة أكثر من مكانة علماء العصر الحاضر . إلا أن معظم علماء العصر الحاضر ، لا ينكرون إمكانة حدوث المعجزة .

لو أثبتنا عدم وجود الله ، كان من الممكن أن نثبت استحالة المعجزة . فمن يؤمن بوجود الله ، لا يجد صعوبة فى الإيمان بالمعجزات .

وحتى لو لم يكن للإنسان يقينية كاملة بوجود الله ، فمتى اعتقد أنه من المحتمل أن يوجد اله ، أو أنه لا يجد دليلاً يثبت عدم وجود الله ، فلا بد له أن يؤمن باحتمال وقوع المعجزة ، وحيث أننا لا ننكر وجود الله — رغم أن البعض قد يشك فى ذلك — فإن إنكار حدوث المعجزة لا يجد مكانًا فى نفوسنا . والسؤال القانونى الذى يواجه اللاهوتى أو الملحد عن صدق حدوث أية معجزة تاريخيًا ، (وعلى الأخص معجزة القيامة) هو : « هل الحجة دامغة قوية تساعدنا على الإيمان بصحتها ؟».

لا يمكننا أن نقول إن كل — أو معظم — الذين يشكون فى حقيقة القيامة ، لا يسمحون لأذهانهم بالتفكير فى إمكانة حدوثها . فإن كثيرين يريدون أن يصدقوا حقيقة كهذه ، ولكنهم لا يستطيعون أن يحرروا أنفسهم من عقيدة تمكنت منهم تمامًا . وبذلك تكونت عندهم حالة عقلية متحيزة ، لا تؤمن بحدوث ما هو فوق الطبيعة ! تلك هى العقبة الحقيقية . ولو سمح هؤلاء لأنفسهم بالتفكير المحايد فى البراهين التى تدعم القيامة ، لأمكنهم التحرر من

تلك الحالة العقلية . ويظهر لنا ذلك جليًا فى اختبار فرانك موريسون ، مؤلف كتاب « من دحرج الحجر ». فإنه يذكر أنه عندما بدأ يكتب كتابه عن القيامة ، أراد أن يعالج الموضوع فى دائرة الشكوك التى كانت تستبد بذهنه . فقد كان يؤمن باستحالة المعجزة . ولكنه عندما بحث الحجة التى تدعم القيامة ، اكتشف أنها فى حدود المعقول . ورغم شكوكه ، كتب كتابه يؤيد حقيقة القيامة ، ويدافع عنها .

لا يمكننا أن « نثبت » صدق القيامة بعملية حسابية أو كيميائية . ولكن كل ما نقدر أن نعمله ــ وهو كل ما يمكن أن يجرى للبحث فى حقيقة تاريخية ــ هو أن نقول إن هناك احتمالات تاريخية تتجه كلها صوب هدف واحد . وتظهر لنا حقيقة القيامة بعيدة عن مرمى أى شك معقول . قال أ. م. رمزى : « اننا نعتمد على حقائق تاريخية لا يمكن أن نفصلها عن القيامة ، وخطوط مختلفة من شهادات التاريخ ، تتجه كلها فى قوة عظيمة صوب القيامة ». فمثلاً ، لو رأينا ست لافتات تحمل كل منها اسم قرية ما ، وعلى كل لافتة سهم يتجه نحو تلك القرية . فلو اتفقت الستة الأسهم فى اتجاهها ، يجب أن نؤمن أن القرية موجودة هناك ، ولو لم يحدث اننا ذهبنا إليها قط . يضاف إلى ذلك ، أن الأدلة التى تثبت صحة القيامة ، كما تشير إليها تلك الاحتمالات التاريخية ، أدلة قوية . وهى فى الحقيقة أدلة اجتمعت معًا ، وكونت شهادة أقوى من أية أدلة اجتمعت للبرهنة على أية حادثة أخرى من حوادث التاريخ . والأدلة فى مجموعها مقنعة لأى إنسان . وإنما تمحك أهل الشك ، لا يعود إلى ضعف الدليل ، بل يعود كلية إلى طبيعة حادثة القيامة الفوق عادية .

الفصل الثانى

الوثائق

جاءت كل الوثائق والمستندات التى نقدمها أدلة للقيامة ، فى العهد الجديد . بل إن رسالة الرب المقام تقف خلف كل صفحة من صفحاته . وكما قال أ. م. هنتر : « كل العهد الجديد أشعة منعكسة من نور القيامة ».

دعنا نقلب رسائل بولس ، وأحاديث بطرس التى وردت فى سفر أعمال الرسل ، والأناجيل الأربعة ، فإن شهادتها أوضح شهادة وأكثرها قيمة وفائدة لبحثنا .

رسائل بولس

كتب الرسول بولس رسائل متعددة جدًا تتعلق بالإيمان المسيحى ، ونظام الكنيسة ، والعقيدة المسيحية . وكان ذلك أثناء رحلاته التبشيرية ، ونتيجة لزياراته واتصالاته بكنائس كثيرة جدًا . عاشت بعض هذه الرسائل ، وسجلت على صفحات العهد الجديد كرسائل قانونية . وهى تقدم لنا شهادة لا تقدر بثمن عن ايمان الكنيسة الأولى بالقيامة . وذلك لأنها كتبت كما هى الآن — فى غضون الاجيال الأربعة التى تعاقبت بعد موت المسيح وقيامته ، ولأنها تشمل معلومات تاريخية ترجع الى عصور ما قبل كتابتها بوقت قصير .

وأهم فقرة وردت فى هذا المضمار ، جاءت فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ٣—٨)، وتقول : « فإنى سلمت إليكم فى الأول ، ما قبلته أنا أيضًا ، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب ، وأنه دفن ، وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب . وأنه ظهر لصفا ، ثم للاثنى عشر . وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ ، أكثرهم باق إلى الآن ، ولكن بعضهم قد رقدوا . وبعد ذلك ظهر ليعقوب ، ثم للرسل أجمعين وآخر الكل ، كأنه للسقط ، ظهر لى أنا ».

يذكّر الرسول قراء رسالته هذه ، التى كتبها فى عام ٥٥ م ، بما كان قد سبق ووعظهم به (١٥: ١). ثم يقول : « سلمت إليكم فى الأول ، ما قبلته أنا أيضًا ». فإن وعظه لكنيسة كورنثوس ، كان تقديمًا لرسالة لم تكن من اختراعه ، ولا من فلسفته ، بل رسالة أعطتها له الكنيسة — عن طريق واحد أو اثنين من ممثليها — وتسلمها هو وقت تجديده — على الأرجح . وحيث أن الرسول قد تجدد فى موعد أقصاه عام ٣٥ م ، فإن رسالة المسيح المقام ، التى تسلمها بسلطان الكنيسة عند تجديده ، والتى وعظها لكنيسة كورنثوس بعد ذلك ، وهو يكتب عنها الآن مذكرًا ، إنما ترجع إلى فترة لا تزيد عن الذكرى السادسة ليوم القيامة الأول .

ثم ينساب قلم الرسول فى الرسالة (١٥: ٣—٧)، وكأنه يقتبس قانونًا شائعًا ، ربما كان مستخدمًا فى القرن الأول لتعليم المتجددين ، أو كان قانون إيمان لهم . ثم أضاف بولس إلى هذا القانون إشارة عن اختباره الشخصى عن رؤيا المسيح المقام (١٥: ٨). ولكننا نرى من قرينة الكلام ، ان بولس لم يكن ليعيد إلى ذاكرة الكنيسة ، بأنه فى وقت تجديده كانت الكنيسة تؤمن بعقيدة القيامة ، بل أظهر لهم بأن الكنيسة كانت قد تبنت هذا القانون الذى يعبر عن إيمانها . وكان ذلك قبل أول زيارة قام بها بولس لكنيسة كورنثوس .

خطب بطرس فى سفر الأعمال

يغلب على الظن أن لوقا هو الذى كتب سفر الأعمال ، كما كتب الإنجيل الذى يحمل اسمه . كان لوقا ، فى ضوء الدراسة التى قام بها ، دقيقًا ، عميق البحث ، كما كان مؤرخًا صادقًا لو اختبرناه بحسب مقاييس عصرنا الحاضر ، فإن البحث الحديث والاستفتاء قد أثبت أن لوقا مؤرخ يمكن الاعتماد عليه . لم يكن بنفسه ، كما يظهر لنا ، أحد الذين سمعوا العظات الأولى ، بل لابد أنه استقى معلوماته من مصادر عديدة ، فحصها ، وامتحنها ، كما فعل هذا أيضًا عند كتابة إنجيله (لوقا ١: ١—٤). لسنا نقول إن سجل عظات بطرس التى جاءت فى سفر الأعمال ، كان تقريرًا وافيًا — كلمة كلمة — لما قاله

بطرس فى المناسبات المختلفة ، ولكننا نعتقد أنه ملخص صادق لما قاله فعلاً .

وردت فقرات من عظات بطرس فى سفر الأعمال فى الأماكن الآتية : سفر أعمال الرسل (١: ١٦ــ٢٢، ٢: ١٤ــ٤٠، ٣: ١٢ــ٢٦، ٤: ٩ــ١٢، ١٠: ٣٤ــ٤٣). وكل عظة من هذه العظات ، ترتكز على صخرة قوية ، ألا وهى : يسوع المقام .

الأناجيل

ليست الأناجيل الأربعة تراجم حياة يسوع ، بما نفهمه اليوم من « ترجمة حياة ». فلم يقصد كتَّاب الأناجيل أن يكتبوا سيرة مستفيضة ، جامعة مانعة ، لحياة يسوع . ولكنهم اختاروا شذرات قليلة منتقاة من حياته ، اختاروها من مادة ضخمة مسهبة . ورغم أن الأناجيل صغيرة جدًا ، ورغم أن الإمكانات المحدودة أرغمت الكتَّاب أن يتركوا الكثير مما لم يمكن كتابته ، فلقد خصص كل واحد قسطًا كبيرًا من إنجيله للاسهاب فى حديث موت يسوع وقيامته . كان الكتَّاب رجالاً مختلفى الصفات والطباع . كتبوا أناجيلهم فى أماكن متفرقة ، ومن وجهات نظر مختلفة . ورغم ذلك ، فإن شهادتهم المتفقة للقيامة ، وتخصيصهم جميعًا جزءًا كبيرًا من كتابتهم للتحدث عنها ، إنما يؤكد لنا أهميتها وصدقها . إنهم يعلنون لنا أن قيامة المسيح كانت مركزًا لإيمان الكنيسة من البدء .

ولكن لكى نقدر حقًا قيمة تلك الوثائق ، يجب علينا أن نعرف أولاً كيف كتبت الأناجيل ؟

هناك ثلاث مراحل ، أوجدت لنا الأناجيل : مرحلة الحوادث ، ثم مرحلة الأحاديث ، ثم مرحلة الكتابة . وهذه المراحل لم تكن منفصلة تمامًا عن بعضها البعض ، لكنها كانت متميزة .

(أ) مرحلة الحوادث

لمدة ثلاثة أعوام ، تنقل المسيح فى فلسطين شمالاً وجنوبًا ، واعظًا عن طريق

الله ، صانعًا أعمالاً كثيرة كلها محبة ورحمة . ثم رحل إلى أورشليم ، رحلته الأخيرة . وهناك قبض عليه ، وحكم عليه ، ثم صلب . وأكد أتباعه ، أنه قام بعد ذلك من الأموات ، وظهر لهم مرات عديدة ، قبل أن يختفى حضوره الجسدى من بينهم . تلك هى الفترة التى تمت فيها كل الحوادث الخاصة بالمسيح .

(ب) مرحلة الأحاديث

تبع ذلك ما نسميه بالتاريخ الشفوى . وفى هذه المرحلة حفظ الناس قصة يسوع وتناقلوها بالكلمة ، من فم إلى فم ، متعمدين على ذاكرتهم . وقد سرى نهر الذاكرة خلال طريقين : الوعظ التبشيرى المرسلى ، واجتماعات الكنيسة للعبادة .

بدأ الوعظ المرسلى بعد القيامة مباشرة . والمسيحيون ، الذين تجددوا وغمرتهم البهجة والفوز ، جالوا منادين بتلك البشارة المفرحة عن ذاك الذى اختبروه مخلصًا وربًا . ومن البدء أيضًا ، سارت جنبًا إلى جنب مع الوعظ المرسلى ، اجتماعات المسيحيين للتعبد . وكانوا يتركون فرصة فى اجتماعهم الأسبوعى لشخص يعتمد عليه لكى يتحدث إليهم عن السيد . وهكذا توالى الحديث عن قصص يسوع .

وعلى رأس هذه القصص ، كانت قصة موت يسوع وقيامته . هى « الإنجيل »، هى « البشارة المفرحة ». وهى أن يسوع الناصرى ، الذى صلب ، قام منتصرًا على الموت .

بل إن قصة القيامة كونت المجرى الرئيسى لنهر الأحاديث الشفوية . ولكنها لم تكن المجرى الوحيد ، بل هناك أقوال يسوع وأعماله . فإن هذه أيضًا يجب أن نتذكرها ، لأن إيماننا بالمسيح يترتب عليه أن نعيش على مثاله فى طاعته كملك .

كان كل مجتمع يستجيب لتأثيرات بعض القصص أكثر من غيرها ، فكانوا

يتحدثون عنها أكثر فأكثر . والقصص التى تلفت نظرهم أكثر كانت تزيد شيوعًا بينهم . بينما كانت بعض القصص الأخرى تنسى تدريجيًا من مخيلتهم . وبهذا تكوّن التاريخ الذى اتفق عليه المجموع فى ذلك الوقت . وكانت النتيجة أنه رغم أن التاريخ جملة كان هو بعينه الذى انتشر شفويًا فى كل بقعة ، ولكن كل مجتمع اتخذ لنفسه مجموعة خاصة من القصص التاريخية عن المسيح . وكل مجموعة كانت تتنوع عن الأخرى . فكنيسة أورشليم احتفظت فى ذاكرتها للتاريخ ببعض الحوادث التى لم تحتفظ بها كنيسة قيصرية ، وهكذا .... بل حتى القصص التى صارت محبوبة فى الكنيستين كانت كل كنيسة تقصها بطريقة ما .

وسرعان ما جاء الوقت لكى يتخذ التقليد الشفوى فى كل مجتمع شكلاً ثابتًا ، فإن تكرار التحدث عنه جعله ثابتًا فى أذهان المسيحيين فى كل مجتمع . وبذلك صار التاريخ متميزًا بين مكان وآخر ، رغم أنه فعليًا واحد فى جوهره .

(جـ) مرحلة الكتابة

توضح لنا الآيات التى يفتتح بها لوقا انجيله (لوقا ١: ١ــ٤)، أنه وجدت كتابات للأناجيل ، قبل هذه الأناجيل التى هى بين أيدينا الآن . ويظهر أن الكتابات الأولى كانت مجرد مقتطفات ، تخلو من التنسيق المنطقى . ولم يبق منها شيء للتاريخ . ولكن ، على العموم ، كان الاهتمام بتسجيل حوادث التاريخ المسيحى فى الجيل المسيحى الأول ، اهتمامًا ضعيفًا جدًا . ولكن الكنيسة شعرت بالحاجة الماسة لتسجيل وقائع ذلك التاريخ المجيد ، وحفظ تلك الحوادث المقدسة حفظًا دائمًا ، عندما قل عدد أبناء الجيل المسيحى الأول ، وعندما بدأ الشهود ، الذين شاهدوا الوقائع بأنفسهم ، ينتقلون إلى العالم الآخر ، الواحد منهم بعد الآخر ...

وعندما دنت مرحلة الكتابة ، قام البعض بجمع المستندات والكتابات التى سبق تدوينها ، وكان عددها كثيرًا . أخذ الانجيليون هذه الوثائق ، الشفوية

والمكتوبة ، وفحصوها بتدقيق ، واختاروا منها ما كتبوا منه هذه الكتب الصغيرة التى فى أيدينا ، المسماة بالبشائر ، والتى بقيت حتى يومنا هذا كأسفار قانونية فى الكتاب المقدس .

كتب مرقس إنجيله بين عامى ٦٠ و٦٥ م ، أو قبل ذلك بقليل . ولكن من المؤكد أن مرقس حصل على معلوماته من بطرس . وظهر إنجيل متى بين عامى ٨٠ ، ٨٥ م ، وربما جمع معلوماته مما كان قد سبق أن كتبه فى مذكراته الخاصة ، مع الرجوع إلى مصادر أخرى . وإنجيل لوقا ، الذى كتب فى الغالب فى نفس الفترة التى كتب فيها إنجيل متى ، يدل على كتابة مؤرخ دقيق جدًا ، رجع إلى مصادر عديدة للتأكد من معلوماته ، كما يذكر ذلك فى الأربعة الأعداد الأولى فى إنجيله . أما إنجيل يوحنا ، وقد كتب بين عامى ٩٥ ، ١٠٠ م ، ربما كتبه يوحنا نفسه ، أو كتبه أحد تلاميذه آخذًا المعلومات عنه .

بعد أن لاحظنا الدقة المتناهية التى تسلسلت فى أخذ المعلومات الأساسية من شهود العيان ، وحفظها خلال الأعوام المتلاحقة ، حتى اختيرت منها مقتطفات سجلت فى محراب الأناجيل المقدس ، بعد ذلك ، يشعر القارىء العزيز ، بأنه يقبل الأناجيل كسجل دقيق للتاريخ الواقعى . ونحن نؤكد صدق هذا البحث أيضًا ، بالإجابة على سؤالين :

(١) لماذا تأخر تسجيل ذلك التاريخ المقدس تلك السنين العديدة ، بعد حدوثها ؟

ربما يظهر غريبًا أن تسجل الحوادث بعد انتهائها بثلاثين أو خمسة وثلاثين عامًا ولكن يجب أن نتذكر الظروف والملابسات التى أحاطت بتلك الأعوام :

(أ) لا يمكننا أن نفترض أن شيئًا ما لم يكتب قبل أن يظهر إنجيل مرقس على مسرح المؤلفات . ففى الغالب ، فى فترة سابقة ، كتبت مقتطفات من تعاليم المسيح وأعماله ، رغم أن واحدًا منها لم يبق بعد ذلك لنراه . ولابد أن تلك المقتطفات استخدمت كمراجع لكتبة الأناجيل . وفى الواقع ، بقيت لنا

تلك المقتطفات موزعة فى الأناجيل الأربعة .

(ب) آمن المسيحيون الأوائل ، أن الجيل الأول للمسيحية هو نهاية العالم ولهذا لم يشعروا بضرورة كتابة الحوادث للتاريخ .

(ج) يرافق ذلك ، الغيرة المرسلية الملتهبة ، والنشاط الذى شغل كل وقت فراغ للمسيحيين الأوائل ، للتبشير بالإنجيل المقدس فى كل مكان . فلم يكن لهم وقت للتفرغ للكتابة .

(د) ولكن السبب الرئيسى المباشر ، كان شعور المسيحيين فى ذلك العصر بأنه لا حاجة لسجل مكتوب عن تعاليم المسيح وأعماله . فلقد تعود اليهود من القديم أن يتناقلوا التاريخ ، من جيل إلى جيل ، ليصل التعليم الدينى الاجتماعى إلى الأجيال المتتابعة شفاهًا . كما أنهم اعتبروا التقليد الشفوى أقوى وأميز من التقليد المكتوب . فالمسيحيون الأوائل ، وهم يهود بحسب المولد والأصل ، اتفقوا على ذلك . وما دام شهود العيان على قيد الحياة ، كان الاهتمام بكتابة الحوادث التاريخية اهتمامًا ضعيفًا .

(٢) هل من دليل يؤكد لنا أن التاريخ الذى تناقل فى مرحلة الأحاديث صحيحًا ، حتى وصل إلى مرحلة الكتابة ، دون أن يعتوره تحريف ؟

فإن الذين تعودوا على استقاء معلوماتهم من الكتب ، قد يشعرون بأن مرحلة الأحاديث الطويلة تؤثر على صحة الحوادث ، وتحورها تحويرًا كبيرًا عن الأصل . ونحن نجيب على ذلك :

(أ) كان اهتمام اليهود بنقل الحوادث صحيحة ، اهتمامًا لا غبار عليه . فلقد كان معظم تعليم اليهود تعليمًا شفويًا . بل إن كلمة تعليم عندهم ، « مشنا »، تعنى « تكرار »، وتفسيرها الواضح . هو الحفظ عن ظهر قلب ، الذى كان عادة عندهم ولقد ظهرت صلاحيتهم وكفاءتهم لذلك منذ البدء . وبعد الخبرة والمران لأعوام طويلة ، أمكن الواحد منهم أن يحصل على ذاكرة صحيحة ، لا يدانيها خطأ . يحدث هذا أيضًا فى الهند ، وفى دول أخرى كثيرة ، حيث

يعتبر تدريب الذاكرة على الاحتفاظ بالمعلومات الصحيحة ، عظيم الأهمية جدًا .

(ب) لم يكن الاهتمام بالتاريخ المتناقل شفويًا من نصيب قلة مختارة من المسيحيين ، بل كان من حق كل مسيحى أن يساهم فيه . وكانت الكنيسة العامة الحارس عليه . فإن من المؤكد أنه لو حدث فيه ، تحوير — أيًا كان — لكانت صيحات المعارضين تعلو فى الحال ، لتدارك الخطأ ، وتصحيحه .

(جـ) لم يكن لكل مسيحى الحق أن يساهم بنصيبه لحفظ التقليد صحيحًا فقط بل ، كان هناك أيضًا من جموع المسيحيين شهود العيان الذين حرصوا على صحة هذا التاريخ . وهذه حقيقة لها كل التقدير . قد يتخيل البعض أنه بمجرد تلاوة قصة ما لأول مرة ، يصمت كل شاهد عيان ولا يتكلم ؟!!

هذا لم يحدث . بل من البدء كان شهود العيان يفحصون بتدقيق كل الروايات ويتأكدون من صدقها وصحتها .

لنأخذ مثلاً ، تلك القصة المشهورة ، التى يقف فيها طابور من الأشخاص يتناقلون رسالة شفوية من الواحد للآخر . يهمس البادىء الرسالة فى أذن اللاعب الأول . والأول يهمسها فى أذن الثانى ، وهكذا .. وفى العادة يهمس الشخص الرسالة نفسها ، أو ما يفهمه منها . والرسالة التى تصل الأخير تختلف كل الاختلاف عن أصلها الأول .

لم يكن هذا ما حدث عند تناقل رسالة الإنجيل . تصور أن غرفة اللاعبين غرفة يدخل إليها اللاعبون ويخرجون باستمرار . وتصور أن الأول وقف يقص على الجماعة حادثة شاهدها هو وآخرون معه فى الغرفة . ومن ثم ، واصل ذلك المتحدث ، وغيره ، تكرار القصة كل الوقت . فسمعها بذلك كل الداخلين الجدد . هذه تصور لنا الظروف التى تناقل فيها التاريخ شفويًا .

افرض معى أن هناك غرفًا عديدة ، تتوسطها صالة كبيرة . وافرض معى أن شهود عيان مختلفين ، يتلون نفس القصة فى كل غرفة ، وعندما يقبل المساء

يبدأ بعض المؤرخين فى تسجيل بعض حوادث تلك القصة . وفى الليل يجلس أربعة أشخاص ــ كل واحد على حدة ــ يسجل القصة مرتبة ترتيبًا منطقيًا بديعًا . وكل واحد منهم ، رغم أنه لم يحضر إلى البيت من أول النهار لكنه كان فى البيت وقتًا ليس بقليل خلال اليوم . وهو يطلب معاونة آخرين له فى كتابة قصته .

هذا المثل ، يعطينا صورة ــ بلا رتوش ــ لما حدث ، إذ تناقل الإنجيل فى مرحلة الأحاديث ، حتى بلغ مرحلة الكتابة .

(د) هناك أيضًا صفة أخرى ، لتناقل قصص الإنجيل ، التى تؤكد لنا تباعد أى عبث بصورة الإنجيل الأصلية . وذلك يظهر فى بعض الأجزاء التى تظهر بدون رتوش أو تنسيق . ذلك كالآيات التى تولد بعض المشاكل الظاهرية ، وتعرض الإنجيل ــ أحيانًا ــ للنقد ، والتى لو حدث فى الإنجيل تبديل أو تحريف ــ لكانت تغيرت ، أو استبدلت ، أو وضعت فى صورة أفضل .

هذه دليل على أن الكنيسة ، وسجلات شهود العيان كانت متفقة ، رغم عدم تجانس الحقائق . فمثلاً ، عبد المسيحيون يسوع ــ من البدء ــ كالله . ورغم ذلك ترى يسوع على الصليب ، يصرخ قائلاً : « إلهى إلهى ، لماذا تركتنى ؟» (مرقس ١٥: ٣٤). كما يذكر الإنجيل فى مرات ليست بقليلة ، سقطات التلاميذ وضعفاتهم وفى مرات عديدة يكشفها الإنجيل واضحة بدون رتوش ... كاهمال فى تقديم الرسالة ، أو ضعف إيمان ، أو سقوط فى الخطية ! جاءت عيوبهم واضحة صريحة فى الإنجيل . أما السبب فى تسجيل تلك الفجوات فى حياة التلاميذ ، فلم يكن سوى صدق رسالة الحق . فلو أجرى فى الأصل تعديل جوهرى عند تناقل رسالته ، كان لابد من اختفاء كل هذه الحقائق التى قد تظهر متعارضة أو مشوهة .

الفصل الثالث

شهادة الوثائق

سنلتقى بشهادة الوثائق التى سجلها ستة من كتَّاب العهد الجديد ، وهم : متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، وبولس ، وبطرس . فماذا نرى فى شهادتهم ؟

هنا ستة رجال ، يحمل كل واحد منهم شهادة منفصلة مستقلة.(*) والكل يقرون بأن المسيح قام من الأموات . لهؤلاء الستة طباعهم المتباينة . وقد كتبوا التاريخ فى أوقات مختلفة ، وأماكن مختلفة . وكلهم أهل لكتابة هذا التاريخ المقدس ، حيث أنهم جميعًا عاصروا أيام المسيحية الأولى ، وكانوا إما شهود عيان ، أو استقوا معلوماتهم من شهود عيان . وكان من واجبهم الحتمى تسجيل كل ما هو حق . لم ير واحد منهم حادثة القيامة بعينها — حيث أن أحدًا لم يرها قط . ولكن الستة ، أكدوا لنا صحة القيامة رغم أن كل واحد استخدم طرق ايضاحه الخاصة ، وذكر تفاصيل القصة التى رآها أكثر أهمية لقراء كتابه . وعلى أى حال ، فليس من شأن صاحب الشك أن يلقى تلك الشهادة جانبًا .

قد يقول البعض إنه لا يجب أن نثق فى وثائق كتبت بعد حدوثها بوقت طويل . وقد أجبنا على ذلك فيما سبق ، ونكتفى هنا بإشارة مختصرة . أول إنجيل لم يكن قد كتب حتى عام ٦٠ م . ولكن الأخير كتب فى نهاية القرن الأول الميلادى تقريبًا . من أهم السجلات التى كتبت ، ورجعنا إليها ، رسالة

(*) قد يعترض شخص ما على لفظ « مستقلة » استنادًا على أن متى ولوقا استخدما انجيل مرقس عندما كتبا انجيليهما . فقد يقول البعض إن شهادة الأناجيل الثلاثة « متى ومرقس ولوقا » ، ليست ثلاثة ، بل واحدة . وبذلك تصير الوثائق التى ندرسها أربع ، لا ستة . ولكن يظهر لى أنه من الأصح أن نعتبرها ستة وثائق ، وذلك لأن متى ولوقا رغم أن كل واحد منهما رجع إلى ما كتبه مرقس عند كتابة انجيله — إلا أن كل واحد كتب أدلته وشهاداته للحق بطريقته الخاصة ، مستقلة عما كتبه مرقس .

بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس . وهذه كتبت حوالى عام ٥٥ م — أى أقل من ثلاثين عامًا بعد فجر القيامة الأول . وبعض الرسائل الأخرى كتبت قبل ذلك ، فلقد كتبت رسالة بولس إلى أهل غلاطية حوالى عام ٤٨ م . إن رجالاً ، لهم معرفة دقيقة بحوادث التاريخ الهامة ، قد يسجلون ذلك التاريخ بعد حدوثه بعشرين ، أو ثلاثين ، أو حتى ستين عامًا . ولو ظهرت بعض التفاصيل الصغيرة شاحبة فى ذاكرتهم ، لكنهم لا يترددون فى حقيقة القصة ذاتها.(*) والكتَّاب الستة الذين أشرنا إليهم لم يترددوا قط فى التأكد من صحة قيامة يسوع من الأموات .

وبين أيدينا هنا ما وراء شهادة أولئك الستة ، وهى شهادة كل الرسل ، بل وكل الكنيسة الأولى . لم يكتب أولئك الستة قصصًا من مخيلتهم ، بل سجلوا ما آمنت به الكنيسة الأولى كلها منذ البدء .

قد يعترض أحد أرباب الشك ، قائلاً إنه لا يوجد دليل على أن الذين كتبوا عن القيامة آمنوا بها . ولو كان هذا قد حدث لكان يكون عجيبًا !! ففى الأعوام الأولى للمسيحية ، لم تسنح الفرصة للكتابة عن القيامة ، سوى لأولئك الذين آمنوا بها . وهل هناك سبب يدفع كاتبًا غير مسيحى أن يهتم بتسجيل حوادث لتاريخ غير مهم .. تاريخ جماعة صغيرة كأتباع يسوع ؟!

فمثلاً ، كتاب « تاريخ كمبردج الحديث »، لم يسجل فى مجلداته الأربعة عشر سوى اشارة واحدة عن « المرسليات »، إذ تعتبر فى نظر التاريخ الحديث ، قليلة الأهمية . وهكذا كانت نظرة المؤرخين للمسيحية ، فى عهد حياة يسوع على الأرض .

ولكن الشاكّ قد يجيب على ذلك . بأنه حيث أن المسيحيين فقط هم الذين

(*) كتب إلىّ صديق ، قرأ هذا الكتاب قبل طبعه ، قال : « فى عام ١٩٠٤ ، وقد كنت طفلاً ، شاهدت حريقًا فى قلب مدينة « بلطمور (بالولايات المتحدة الأمريكية)، ومنذ ذلك الحين ، وحتى الآن ، ثبتت فى مخيلتى ذكرى تلك الحادثة ».

كتبوا تلك الوثائق ، فليس لنا أن نثق فى شهادتهم .

وهذا اعتراض تافه ! إن كتابة المسيحيين لتاريخهم ، لا يؤثر على صدق الوثائق الستة المتفقة معًا على صدق حدوث القيامة . كما أن الشهادة تظهر قوية . ولو نظرنا إليها فى أضعف مظهرها . فلو أغرقنا كل هذه الوثائق فى بحر الشكوك ، فإن حقيقة لا يتطرق الشك إليها أبدًا ، وهى أنه والكنيسة فى مهدها ، آمن جميع المسيحيين أن يسوع المسيح قام من الأموات .

ومع ذلك ، فهناك احتمالات مثلثة : ربما ارتكب المسيحيون الأول خيانة عظمى ! أو ربما رغم اخلاصهم — كانوا ضحية خدعة أو وهم باطل ! أو ربما نمت قصص القيامة وانتشرت بتأثير قصص خرافية مشابهة للقيامة ، كالتى كانت مشهورة فى العالم الغير مسيحى فى ذلك الحين .

فهل كانت خيانة عظمى ؟

يدَّعى البعض بأن التلاميذ الأول نجحوا فى إثارة دعاية مزيفة عن قيامة المسيح . وهذا ادعاء تقابله اعتراضات عديدة فكيف يمكن أن يحدث هذا ؟ إن شخصية السيد الذى تبعه التلاميذ ، ومبادئه الأخلاقية التى نادى بها ، تنكر إمكان حدوث أية خيانة كهذه ؟ لقد ألزم تلاميذه أن يتمسكوا بالأمانة والصدق كل حياتهم . ولا يمكن أن تتأسس كنيسة المسيح على كذبة ملفقة ؟ لكن افرض معى أنهم أقاموا تلك الدعاية الكاذبة ! فهل كانت تحتل تلك المكانة التى تحتلها الآن ؟ وهل كانت تنال ذلك التدعيم والمصادقة ؟ وهل كانوا هم بأنفسهم يكونون متحمسين للفكرة ، ذلك الحماس الذى لم يقهر ؟!

وكيف يمكن لكذبة كهذه أن تغير حياة التلاميذ ورسالتهم ؟ فإنه لا شك أنهم تغيروا ، وعاشوا حياة أفضل ، إذ صارت مبادؤهم الأخلاقية أسمى وأعلى مما كانت عليه من قبل . وما كان من الممكن لهم أن يعلنوا افتراء من اختراعهم ، ويلقى ذلك النجاح العظيم ! فهل كان لواحد من التلاميذ الكفاءة والمقدرة لتنظيم حملة الدعاية اللازمة لنشر افتراء كاذب كهذا ؟

ربما يخيل إلينا ، أن بطرس ، وهو رجل متكلم لبق ، له الكفاءة والدراية لتنظيم حملة مغرضة . لكن هل كان من الممكن أن ينجح بطرس فى نشر كذبة كهذه ؟ وهل كان من المعقول أن إشاعة كاذبة كهذه تجتذب كل تلك الجماهير التى ارتمت عند قدمى يسوع طالبة منه أن يخلصها من الخطية ؟ لقد كان أعداء المسيح كثيرون فى ذلك الوقت . وكانوا دائمًا على أهبة الاستعداد لمقاومة كل كذب أو خداع ينسب للمسيح .

وفيما تبع ذلك من آلام واضطهادات للتلاميذ والرسل ، لسنا نرى ، فيما نعلم ، شخصًا واحدًا كشف للجميع أن هناك دعاية كاذبة أشيعت لغرض ما .

فهل كانت خدعة

ستُعالج هذه المشكلة فى الفصلين الخامس والسادس بأكثر توسع . ولكننا هنا نضع سؤالين ، الأول :

هل كان الإيمان بالقيامة نتيجة خرافة ؟

فإن المؤمنين جميعهم فى بدء الكنيسة كانوا مقتنعين بها اقتناعًا كاملاً . والسؤال الثانى هو أننا :

لو افترضنا أن أتباع المسيح قبلوا فكرة القيامة ببساطة مطلقة ، ودون فحص أو تدقيق ، فهل هناك دليل على أن أعداء العقيدة سمحوا لها بالانتشار ، دون عرضها على بساط البحث ؟

فهل كانت خرافة ؟

يرى بعض النقاد أن قصة القيامة خرافة أو أسطورة ، كالأساطير التى كانت منتشرة فى الديانات القديمة عن آلهة الوثنيين التى ماتت وقامت ! وقد كانت بلاد البحر الأبيض المتوسط مليئة بمثل هذه الخرافات فى العصور القديمة .

ومن المرجح جدًا ـــ كما يقولون ـــ أن المسيحيين يؤلفون قصة على شبهها

عن مؤسسى ديانتهم . وبمرور الزمن ، صارت هذه القصة عقيدة راسخة .

ولكن هل كان هناك وقت تترعرع فيه هذه الخرافة ؟

فالخرافات لا تثبت صحتها وتنمو رسالتها فى لمح البصر . ولكنها تحتاج إلى وقت طويل . والواضح هو أن هذه العقيدة نمت مع الكنيسة فى آن واحد .

فلو أن المسيح مات ، و لم يتحدث أحد عن قيامته بضعة أعوام متوالية ، ثم ظهرت قصة قيامته وانتشرت ، لكان الشك يساورنا فى صحة حدوثها ، ولكان الظن يراودنا بأن ذلك ربما كان خرافة !! ولكن الإيمان بالقيامة نما فى الحقيقة عقب صلب السيد ، وأعلنت قصة قيامته على المنابر خلال خمسين يومًا بعدها . فلم يكن هنا ثمة وقت كاف تثمر فيه هذه الخرافة !

يضاف إلى ذلك ، أنه لا يوجد برهان يدل على أن المسيحيين الأوائل ذهبوا إلى مكان ، آمن أربابه بالأساطير الاغريقية ، وخرافات دول البحر الأبيض المتوسط . لا شك ، أن بعضهم تأثروا بالثقافة الإغريقية . ولكن الكل جاءوا من أصل يهودى النزعة ، وقد استبدت بهم الأفكار اليهودية المحافظة ، خاصة ما نادى به العهد القديم . والنزعة اليهودية ، كان من الممكن أن تدفعهم لمعارضة فكرة القيامة معارضة شديدة ، ما لم تحدث القيامة فعلاً وتتأكد لهم بأدلة قوية ، لا يتطرق إليها الشك .

وأقوى من الكل ، لا توجد حادثة واحدة ، تتشابه مع قيامة المسيح . لاشك أن قصص موت الآلهة وقيامتهم فى التاريخ الاغريقى القديم ، عديدة جدًا . ولكن كل هذه تنتسب إلى قاموس الخرافات ... الخرافات التى آمن بها أربابها وقبلوها على أنها خرافات ، لا صلة لها بالتاريخ . فلا يوجد مَثَل واحد لقصة قيامة ، نسبت إلى شخص تاريخى ، كيسوع ...

ولا توجد فى التاريخ كله ، قصة تشبه قيامة المسيح . ولكن قد يعترض شاك ، بأن خرافات موت الآلهة وقيامتهم ، هيأت ذهن التلاميذ لتوقع قيامة

سيدهم ، وعاونتهم على أن يتخيلوه أمامهم . وهذا اعتراض واهٍ . فبالإضافة إلى ما سبق شرحه فى الفقرتين السابقتين ، علينا أن نعود إلى ما جاء فى الفصلين الخامس والسادس ونحن نفتش « القبر الفارغ »، وندرس حقيقة « ظهورات يسوع المقام ».

ونختتم هذا الفصل ، مؤكدين ، أننا مهما قصرت نظرتنا عن التأكد من شهادة الوثائق للقيامة ، فليس ثمة شك أن الكنيسة الأولى صدقت أن يسوع المسيح قد قام من الأموات . وهذه العقيدة لا تستند إلى دليل سوى أن يسوع قام فعلاً ....

الفصل الرابع

مشاكل فى روايات الإنجيل

عندما ندرس حوادث القيامة فى الأناجيل الأربعة ، يذهلنا الاتفاق الكامل على النقاط الرئيسية . فالأربعة الأناجيل ، تتفق معًا فيما يلى :

(١) أن يسوع مات يوم الجمعة من أسبوع الفصح .
(٢) أن يوسف الرامى طلب من بيلاطس أخذ جسد يسوع ودفنه ، وفعلاً كان .
(٣) أن جسد يسوع ، وضع فى القبر بعد أن لفّوه بكتان ، كما كانت عادتهم فى تلك الأيام .
(٤) أنهم دفنوه فى قبر فى الصخر .

« سوى أن يوحنا لم يوضح حرفيًا بأن القبر كان فى الصخر . ولكن اشارته إلى تدحرج الحجر عن القبر فى (يو ٢٠: ١)، تدل على ذلك ».

(٥) أن النسوة ، اللائى تبعن يسوع ، قمن بزيارته فى فجر يوم الأحد التالى للصلب .
(٦) وأنهن وجدن الحجر المختوم مدحرجًا عن القبر ، وأن جسد يسوع لم يكن موجودًا .
(٧) وأن رسالة أُعطيت لهن وهى أن « يسوع قد قام ».
(٨) وأن يسوع المقام ظهر لأتباعه (أفرادًا وجماعات)، مرات عديدة بين ذلك اليوم ويوم الخمسين .

هذه ، مضافًا إليها بعض العناصر الأخرى التى لا تعارض فيها ـــ وهى عناصر ذكرها إنجيل واحد أو اثنين ، أو ثلاثة ، ولكنها لا تتناقض مع ما ذكر فى غيرها من الأناجيل . مثال ذلك ما ذكره متى ، ومرقس ولوقا ، أن النسوة

شاهدن دفن يسوع . وذكر متى ولوقا ويوحنا أن قبر يسوع كان جديدًا . ولكن يوجد اختلاف طفيف بين الروايات الأربع ، وهذا الاختلاف يقوى دعائم الاثبات لصحة الرواية ، ولا يُضعفها . فلابد من الاختلاف فى بعض التفاصيل الصغيرة بين سجلات مستقلة لمؤرخين موثوق بهم .

فالتقارير التى تسجل لنا روايات شهود عديدين لحادث مثير ، كحادث فى الطريق ، أو مظاهرة ، أو معركة . لابد أن توجد اختلافات فى التفاصيل . ولكن ، لو كان الشهود أمناء مخلصين ، فإن تقاريرهم تتفق معًا ، اتفاقًا كاملاً ، فى النقاط الرئيسية للحادث . هذا ما نجده فى قصة القيامة . فلو اتفقت الروايات الأربع تمامًا ، لثار الشك ، ولكان من الواضح أن اتفاقًا مقصودًا قد جرى من وراء الستار بين المؤرخين الأربعة ، للتدقيق فى كتابة التفاصيل الصغيرة المتفقة كل الاتفاق .

وهل تفوتنا الحقيقة ، أنه لو أن القيامة حدثت فعلاً ، أما كانت تلك الحادثة تستثير كل اهتمامهم بشدة ، لدرجة أنه ما كان من الممكن لواحد منهم أن يجلس ويسجل حوادث القيامة وتفاصيلها الدقيقة جدًا ، فى نفس يوم حدوثها ؟

وحتى لو جلس كل واحد من كتّاب الأناجيل لتسجيل الحوادث فى خلال أربعة وعشرين ساعة من حدوثها ، ما كان من الممكن أن يصلوا إلى كتابة سجلات متفقة كل الاتفاق . ولو أنهم كتبوا سجلات واحدة لكان ذلك يدفعنا على التساؤل فى دهشة ... « كيف لا يختلف الواحد عن الآخر فى التفاصيل الصغيرة للحوادث ؟» وتلك الاختلافات لابد منها لتقديم أربعة كتب مستقلة عن بعضها البعض . فى ضوء تلك الحقيقة ، لا نجد صعوبة فى فهم سرّ الاختلاف فى سرد بعض التفاصيل الصغيرة للحوادث ، خاصة وأن كل كاتب أمسك القلم ليسجل التاريخ من وجهة نظره هو . كما أن واحدًا منهم لم يحاول قط أن يكتب تقريرًا مانعًا عما تم فى يوم القيامة . ولهذا ، فالاختلاف يؤكد لنا أن ما كتب يعتمد عليه تمامًا .

يوضح لنا الأستاذ جيمس أور هذه الحقيقة ، فى مثلين فى كتابه : (Resurrection of Jesus، ص ٩٠، ١٠٧) : « فى تدريس علم (تاريخ الثورة الفرنسية)، طلب المدرس من التلاميذ أن يقدموا بحثًا عن التصويت البرلمانى الذى نتج عنه الحكم بالإعدام على الملك لويس السادس عشر . أجاب نصف الفصل تقريبًا بأن التصويت كان بإجماع الآراء ، وأجاب البعض أن التصويت كان بأغلبية صوت واحد ، وأجاب قلائل بأنه كان بأغلبية ١٤٥ صوتًا من عدد المقترعين ، الذى بلغ ٨٢١ » . يرى الباحث فى هذا ، من أول نظرة ، أن هذه الأجوبة متناقضة . والواقع ، هو أن كل رأى من هذه الآراء يعتمد على مؤرخين موثوق بهم . لكن الكل متفقون فى الفكرة الأساسية ، وهى « الحكم على الملك لويس بالإعدام » . ولكن ، أكثر من ذلك ، نرى أن كل هذه الآراء صواب والحق يشمل الثلاثة معًا . « وها هى القصة الكاملة : « طُلب التصويت ثلاث مرات فى قضية الملك لويس . مرة بخصوص إثبات الجريمة عليه ، وكانت الموافقة بالإجماع . والثانية كانت بخصوص المطالبة باعدامه ، وكانت الموافقة بأغلبية ١٤٥ شخصًا . والتصويت الأخير كان بشأن تنفيذ العقوبة فورًا ، وكانت الموافقة بأغلبية صوت واحد ».

كنت فى رحلة ما ، عندما كان صديق لى على وشك الموت . وعند عودتى من تلك الرحلة ، قابلت أربعة أشخاص على التوالى . حدثنى واحد منهم عن مرض صديقى ، وحدثنى اثنان منهم عن موته ، وحدثنى الرابع عن رسالة وداعه . جلست فيما بعد أكتب لأحد أصحابى خطابًا ، فذكرت له باختصار أنى قابلت أربعة أشخاص فى الطريق ، بلَّغونى تفاصيل مرض صديقى وموته ، ورسالته الوداعية . ماذا كان يهم صديقى ، لو قلت له ، إن أربعة قابلونى على التوالى ، أو قابلونى معًا ؟ ومن قابلنى ، ومتى كان ذلك . وما هى رسالته ؟

تتكرر هذه الحوادث مرات عديدة فى التاريخ ، بل وفى حياتنا اليومية . فلو كتبت فى أجندتى يومًا ما : « من الساعة التاسعة إلى الساعة الثانية عشر والنصف . استعداد فى عظة » فهل هذا السجل يصبح غير معتمد عليه ، لأنى

لم أذكر أنى تناولت فنجالاً من الشاى فى الساعة العاشرة والنصف ؟! يشك أحيانًا بعض النقاد فى صدق قصة القيامة ، لأسباب تقل قيمة عن ذلك المثل !!!

فمن الذين زاروا القبر ؟ وما عددهم ؟ يقول متى (٢٨: ١) : « مريم المجدلية ومريم الأخرى ». ويقول مرقس (١٦: ٢١) « مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، والباقيات معهن ». ويقول يوحنا (٢٠: ١) « مريم المجدلية »! من الواضح ، أن الروايات ليست كاملة . ولكن هل يعنى ذلك أنها متناقضة ؟ أو أنه يُشكّ فى صحتها ؟ وعلى أى حال ، هل كان من المهم للقارىء أن يعرف ، هل ذهبت النسوة معًا ، أم ذهبن على التوالى ؟

يبالغ الكثيرون فى اظهار التناقض فى قصة القيامة . ونحن الذين نؤمن بصحتها ــ يجب أن نكون أمناء مع أنفسنا . هناك بعض النقاط الصعبة التى تواجهنا . ولكننا ، لو وضعنا فى أذهاننا الحقائق االسالفة ، لاختفت تلك الصعوبات من أمامنا وتلاشت . فإن الطريقة التى وصل بها الإنجيل إلى مرحلة الكتابة ، وتنوع صور التاريخ التى استخدمت ، أو تفسير بعض المواد بتفسيرات متنوعة تحل كل الصعوبات التى تواجهنا . والمهم ، ليس فى هذه الاختلافات الطفيفة بل فى توافق عناصر الرسالة الرئيسية .

أ ــ استجابة النسوة

يتميز مرقس عن الأناجيل الأخرى فى توضيح تصرُّف النسوة بعد اكتشاف القبر الفارغ . قال مرقس : « فخرجن سريعًا ، وهربن من القبر ، لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن . ولم يقلن لأحد شيئًا لأنهن كن خائفات » (مر ١٦: ٨) . ويقول متى : « فخرجتا سريعًا من القبر بخوف وفرح عظيم ، راكضتين ، لتخبرا التلاميذ » (متى ٢٨: ٨) . وقال لوقا : « ورجعن من القبر ، وأخبرن الأحد عشر ، وجميع الباقين ، بهذا كله » (لوقا ٢٤: ٩) . والاختلاف هنا ، ليس اختلافًا فى جوهر القصة ، بل فى ظاهرها . ففى (مرقس ١٦: ٧) ، قال الشاب الذى كان جالسًا عند القبر للنسوة : اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس ،

إنه يسبقكم إلى الجليل . هناك ترونه كما قال لكم ». وبعد ذلك مباشرة فى العدد الثامن ، يقول مرقس : « ولم يقلن لأحد شيئًا » . هذه طبعًا لا تعنى الصمت المطلق المستمر . فإتمام الوصية التى جاءت فى العدد السابع يُظهر التوافق بين ما ذكره مرقس مع ما ذكره متى ولوقا ، وهو أن النسوة حملن الرسالة إلى التلاميذ . فربما حدث أن النسوة لم يقلن شيئًا لأحد فى الطريق ، حتى وصلن حيث كان التلاميذ ، وقلن لهم ما حدث .

ب ـــ أمكنة ظهور المسيح

يتحدث مرقس (كما يؤخذ من القرينة) ، كما يتحدث متى ، عن مرات ظهور المسيح فى الجليل ، دون إشارة إلى مرات ظهوره فى أورشليم . بينما يتحدث لوقا ويوحنا عن ظهورات المسيح فى أورشليم وحدها دون إشارة إلى الجليل . هذا لا يعنى أن الأناجيل انقسمت بين الجليل وأورشليم ! يظهر لنا من إنجيل مرقس أنه قصد حقًا أن يكتب عن ظهورات المسيح فى الجليل . لكن ربما كان فى ذهنه أيضًا أن يتحدث عن ظهورات المسيح فى أورشليم أيضًا . وكذلك يخصص متى روايته عن الجليل . ولكن يسجل ظهور المسيح للنسوة فى أورشليم . أما لوقا ، فلا يذكر شيئًا عن ظهورات المسيح فى الجليل . فمن الواضح أنه كان يلخص حوادث متعددة حدثت فى أيام كثيرة ، فى سطور قليلة . وعدم ذكره مرات ظهور المسيح فى الجليل لا يعنى أنه لم يكن يعرفها . أما الإنجيل الرابع ، فهو يذكر حادثة واحدة من ظهورات المسيح فى الجليل .

كما أن تحدث انجيلين عن ظهورات المسيح فى الجليل ، وانجيلين عن ظهوراته فى أورشليم ، لا يعنى أن الأناجيل تتناقض بعضها مع بعض . فإن صمت أحد كتّاب الأناجيل عن كتابة بعض الروايات التى تمت ، لا يعنى أن الكاتب لا يعرفها أو أنه ينكرها . فلقد اختار كل كاتب عددًا محدودًا من القصص والروايات لتسجيلها فى بشارته . وكان اختيار كل كاتب يتوقف على ما شعر هو بضرورته ، وبارتباطه بالخطة الموضوعة للكتاب ، تحت إرشاد روح الله .

ولكن قد تندهش أن كاتبًا واحدًا لم يسجل لنا كل قصص ظهور المسيح فى الجليل وأورشليم معًا . ولكن ليست هذه مشكلة جوهرية . والإجابة الواضحة البسيطة على ذلك ، هى أن المسيح ظهر للكثيرين فى الجليل وأورشليم ، وقد سجل كل كاتب ما اختاره من تلك الروايات حسب رغبته ، إذ كان محدودًا بعدد الصفحات التى يريد أن يكتبها .

جـ ــ المرسلون عند القبر

هناك اختلاف أيضًا فى وصف المرسلين الذين كانوا عند القبر . جاء فى إنجيل مرقس (١٦: ٥) : « ولما دخلن القبر . رأين شابًا جالسًا عن اليمين ، لابسًا حلة بيضاء ». وجاء فى إنجيل متى (٢٨: ٢) : « لأن ملاك الرب ، نزل من السماء ، وجاء ، ودحرج الحجر عن الباب ، وجلس عليه . وكان منظره كالبرق ، ولباسه أبيض كالثلج ». وجاء فى إنجيل لوقا (٢٤: ٤) : « وفيما هن محتارات فى ذلك ، إذا رجلان وقفا بهن بثياب برَّاقة » . وجاء فى انجيل يوحنا (٢٠: ١١ و١٢) : « أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجًا تبكى . وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض ، جالسين واحدًا عند الرأس ، والآخر عند الرجلين ، حيث كان جسد يسوع موضوعًا » .

إننا نعترف بوجود اختلاف هنا . ونعترف أيضًا بأننا نفتقر إلى المقدرة التفسيرية الكاملة ، التى توفِّق هذه الروايات الأربع معًا . وقد يعزى ذلك إلى حماس التلاميذ يوم القيامة ، أو إلى عدم مقدرة النسوة على الإدلاء بما حدث بتدقيق وتفصيل . وعلى أى حال ، ليست هذه سوى التفاصيل الصغيرة فى الحادثة . كما أن وجود القبر فارغًا ، وقبول النسوة الرسالة وبشرى القيامة ، حقيقتان أهم وأخطر من حقيقة وجود الملائكة . وهاتان الحقيقتان شهد لهما الكتَّاب الأربعة ، ولا شك ، أن ما قد ظهر لنا فى هذه الفقرات ، لا يؤثر على إيماننا القويم وأساسه الراسخ .

د ـــ التناقض بين الأناجيل والأصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس :

قد تظهر لنا المتناقضات هنا خطيرة ! ففى كورنثوس ، يذكر بولس أن المسيح ظهر أولاً لبطرس . ولكنه لم يذكر شيئًا عن القبر الفارغ ، ولا عن النسوة ! لماذا ؟ هل ننسى أن بولس لم يكن يقصد أن يسجل لنا تاريخ القيامة ، وظهورات المسيح المُقام ؟ إن الأناجيل نفسها لم يُقصد بأى واحد منها أن يسرد سردًا مفصلاً مسهبًا لحياة المسيح ، وحوادث القيامة . كذلك بولس ، لم يكن فى ميدان الدفاع عن القيامة ، والإدلاء بالأدلة المتعددة . لهذا اكتفى بولس بذكر تقرير مختصر عنها ، ليذكّر قراء رسالته بالحقائق التى كان قد سبق أن علمهم إياها . ولكن هل آمن بولس بظهورات المسيح ؟ ليس من المعقول أن يظن شخص ما أن ما كتبه بولس (فى ١كو ١٥) هو كل ما عرفه فى موضوع القيامة ! أو أنه كتب كل ما كان يجب أن يكتبه فقط . وإن كنا نعجز عن التوفيق بين ما كتبه بولس ، وما سجلته الأناجيل . وكلها لم تكتب بإسهاب ـــ فإن ذلك راجع إلى نقص معرفتنا عن الحقائق الكاملة . ولو وجدت اختلافات ، فهذا لا ينكر حقيقة القيامة . ولكن المشكلة الرئيسية ، ليست هى وجود اختلافات فى روايات الكتاب المختلفة عن القيامة ، بل صفة القيامة القوية الطبيعية . فما نظنه اختلافًا فى روايات الإنجيل ، لا يساوى شيئًا بإزاء العناصر القوية التى تتفق فيها كل روايات القيامة فى الكتاب المقدس ، اتفاقًا مطلقًا .

الفصل الخامس

القبر الفارغ

استولى البؤس على أتباع الناصرى ، وتحطمت قلوبهم ، يوم أن صلب ربهم . ولكن فى أول الأسبوع ، حدث ما غيَّر حياتهم ، وبعث الأمل إلى قلوبهم .

أعطيت الرسالة المفرحة الأولى للنسوة . لقد كن مخلصات له ، إذ تبعنه حتى الصليب ، ليشاركْنَهُ فى لحظات حياته الأخيرة . لقد شاهدنه وهو يموت ، ثم وهو يدفن فى القبر . ثم عُدن إلى بيوتهن عازمات على العودة ، ليس فى صباح يوم السبت — الذى كان يوم الراحة عند اليهود — بل فى صبيحة اليوم التالى مباشرة ، يوم الأحد ، أول أيام الأسبوع . وكان قصدهن إكمال شرائع التطهير والتعطير ، التى لم يتمكن يوسف الرامى وزملاؤه من اتمامها لاستعجاله فى انهاء عملية الدفن قبل يوم السبت . ويوم السبت عنداليهود ، يبدأ بمغيب الشمس فى يوم الجمعة (لوقا ٢٣: ٤٩ — ٢٤: ١) .

عاد النسوة فى فجر الأحد إلي القبر . وإن كن قد ذهبن كلّ على حدة ، أو ذهبن معًا ، فلقد وجدن القبر فارغًا .

لا يشك عاقل أن قبر يسوع كان فارغًا صباح ذلك الأحد . ويقين صدق ذلك ، يظهر من أن الأعداء كالأصدقاء صدقوا القيامة من اللحظة الأولى لإعلان الخبر . ولكن اليهود — الذين صدقوا بأن القبر صار فارغًا — فتشوا عن سبب طبيعى للتدليل به على القيامة ، وقالوا : « تلاميذه أتوا ليلاً ، وسرقوه ونحن نيام » (متى ٢٨: ١٢—١٥) . فهل هناك دليل أقوى من ذلك ، على أن القبر كان فارغًا ؟

وبعد الصلب بسبعة أسابيع ، كان تلاميذ يسوع يسيرون فى شوارع

أورشليم منادين : « قام يسوعنا من الأموات ». تأمل — إنه فى نفس المدينة التى قتل فيها السيد ، وعلى مقربة من قبره الذى دفن فيه ، كان المسيحيون ينادون بقيامته . فهل كانت هذه الرسالة تجد مصادقة لو لم يكن القبر فارغًا ؟ ألم يكن القبر أمام عيونهم ... وكان فارغًا ؟ فلو كان فى القبر جسد المسيح بعد ، لكانت الرسالة المسيحية قد أُبطلت وتوارت !!

ظن البعض أن النسوة أخطأن فى إدراكهن لحقيقة القبر الفارغ . وتلى ذلك تصديق الجميع لكلام النسوة ، والحوادث التى ترتبت عليه . فيقول البعض إن النسوة ذهبن إلى قبر غير قبر يسوع — إلى قبر كان مفتوحًا . وبمحض الصدفة ، كان ذلك القبر فارغًا ، وإلى جواره جلس شاب ، ربما كان البستانى . وإذ شعر ذلك البستانى بمن يبحث النسوة عنه ، قادهن إلى مكان القبر ، قائلاً : « ليس هو ههنا ، فقبره هناك ». وأشار بيده إلى مكان قبر المسيح . ولكن توالى تلك الحوادث الغريبة الغير متوقعة ، أوقع النسوة ، فى خوف وحيرة . ثم يوالى أرباب التخمين أدلتهم بأنه فى وقت متأخر ، عندما نمت العقيدة بصحة القيامة ، مبنية على فكرة ظهور المسيح للتلاميذ ، تذكر النسوة اختبارهن القديم ، وفَسَّرنه على النحو الذى جاء فى الأناجيل . هذه الفكرة التى ينادى بها ويدعِّمها « كريسوب ليك » ، فكرة لا تستند إلى دليل . فالأناجيل تشهد بقوة أن القبر الذى زارته النسوة كان قبر يسوع دون شك . وبحث « ليك » وليد الخيال من أساسه . فهل تأتى الحوادث التالية كلها معًا ، بمحض الصدفة ؟

(١) أن يخطىء النسوة فى معرفة القبر ، (٢) أن يكون نفس ذلك القبر مفتوحًا وفارغًا ، (٣) أن يوجد هناك شاب جالس عند القبر فى تلك الساعة المبكرة ، (٤) أن يحاول هذا الشاب إصلاح هذا الخطأ . ألم يكن من المحتمل زيارة شخص آخر لذلك القبر ؟! ألم يذهب التلاميذ ليروا القبر فارغًا ؟! وهل يصمت أعداء يسوع عن الكلام لو أخطأ النسوة ؟! وهل يقبل أعداء المسيحية تصديق قول المسيحيين ما لم يشاهدوا القبر بأنفسهم ؟ ولو أخطأت النسوة ،

وكان الجسد ما زال باقيًا فى القبر ، لظهرت الحقيقة بسرعة فى وضح النهار !!
يشير البعض إلى صمت بولس عن التحدث عن القبر الفارغ ، فلم يتحدث الرسول عنه فى (١كو ١٥) . ولماذا يكتب بولس عن القبر الفارغ ؟ عندما كتب بولس رسالته إلى أهل كورنثوس ، لم يكن يدلى بأدلة تثبت صدق القيامة ، كما أنه لم يبد رغبته فى شرح تفاصيل القصة . بل إنه ببساطة كان يذكر كنيسة كورنثوس بما سبق أن علمهم إياه ، وصار عقيدة يقينية عندهم ورغم هذا ، فحديثه يشمل فكرة القبر الفارغ : « المسيح مات ... ودفن .. وقام » (١٥: ٣ و٤) ألا يعنى هذا أن القبر صار فارغًا بعد القيامة ؟

والاعتراضات على ذلك أيضًا كثيرة ، أقدمها إدعاء اليهود بسرقة التلاميذ لجسد المسيح . وتردد هذا على ألسنة النقاد فى فترات متفاوتة ، وقد أجبنا عليه . فلن يصدق عاقل ، أن أصدقاء يسوع تمكنوا من سرقة جسده ! كما أنه ليس من المعقول أن شخصًا — من غير أتباعه — سرق جسده ! فلو أن اليهود شكوا فيما قد يحدث فيما بعد ، وسرقوا جسده فلابد أن ظهور تلك الحقيقة كان يلازم أول عظة عن القيامة ، لكى يبطلها ويظهر كذبها .

كما أن نقل جسد ، فى ظلام الليل البهيم ، أمر يحتاج لتعاون عدد من الرجال . وفى مثل هذه الحالة ، هل كان من السهل نقل جسده بسرعة وبدون إحداث ضجة أو ضوضاء ؟ هل كان لدى أولئك الذين سرقوه وقت لفك الأكفان المربوطة (يو ٢٠: ٦ و٧) ؟

لعله من الواضح أن مثل هذا ما كان من الممكن أن يحدث . وهناك نظرية أخرى يسمونها « نظرية الإغماء » لجأ إليها أرباب الشك لتعليل حقيقة القيامة . وقد ظهرت تلك النظرية فى بداءة القرن التاسع عشر ، وكان مبدعها هو المفكر « فنتورينى » . اعتمدت تلك النظرية على شهادة القبر الفارغ . والنظرية هى أن المسيح لم يمت فعلاً على الصليب بل أغمى عليه . وإذ انتعش جسده فى برودة القبر ، أفاق . ثم خرج إلى تلاميذه هاربًا . وأوحى إليهم بفكرة

قيامته !!! إن فكرة عدم موت المسيح من المستحيلات . فعندما أنزل المسيح عن الصليب . شهد الجميع بموته وإذ كانت مسئولية البعض إماتته . وقد شهدوا بذلك ، فكيف تشك فى صحة حدوثه ؟

دعنا نفترض أن المسيح لم يمت ، بل أغمى عليه . عندما قبض على المسيح فى الليلة السابقة ، لأنه كان مستيقظًا كل الليل ، كان أيضًا عرضة — فى الليل والصباح المبكر — لانهيار عصبى عقلى . وقد حرم الطعام والشراب كل ذلك الوقت . كما كان عرضة لنزيف حاد ، وانهيار عام بسبب الجلدات التى ألهبت جسده الضعيف ، فإن السوط الذى استخدم ، سوط كثير الفروع ، وفى نهاية فروعه وضعت قطع من الرصاص !!!

وفى تلك الحالة من الضعف المتناهى لم يقدر يسوع أن يحمل صليبه من الجلجثة . وهناك صلب وعلق ، وترك فى حر النهار اللافح . طعنه رومانى بالحربة فى جنبه . ثم لفوه بربط كثيرة وأغرقوه بالعطور . ثم دفنوه فى قبر غطيت فوهته بحجر كبير .

فإن صدقنا « نظرية الإغماء » يجب أن نصدق أن المسيح الذى قام ولم يمت ، والذى صارع الألم والجروح حتى النهاية ، استعاد وعيه فى القبر ، وفك الكتان الذى كان ملفوفًا به رغم ضعفه ، ثم دحرج الحجر وحده دون مساعدة أحد ، علمًا بأن دحرجة الحجر من الداخل تزيد الأمر صعوبة . وعندئذ خرج من القبر وظهر لتلاميذه !! فهل هذا معقول ؟!

دعنا نقبل هذا الفكر حبًا فى البحث . فهل يمكن للمسيح ، كما كان ، عاريًا ، ضعيفًا ، فاقد القوة ، أن يقنع تلاميذه أنه هو الذى كسر شوكة الموت !؟ لقد كانت هذه الفكرة هى الدافع الوحيد الذى جعل ستروس — أحد أرباب الشك — أن يطعن نظرية الإغماء فى الصميم . كان هذا منذ قرن من الزمان فكتب يقول : « إنه من الواضح أن الصورة التى ظهر بها المسيح المقام ، بغض النظر عن المشاكل التى واجهته ، لم تكن لتوجد حلاً يفسر

حقيقة إيمان الكنيسة الأولى بالقيامة المعجزية للمسيا ، أن شخصًا ، بين حى وميت ، استسلم للآلام ، وسُرق من قبره ، وخرج ضعيفًا مريضًا ، ليبدو أنه كان فى حاجة لأن يكون تحت العلاج الطبى من تعقيم وتضميد وتقوية ، لمدة من الزمن ! من المستحيل ، أن شخصًا ضعيفًا كهذا كان يبعث فى تلاميذه الإيمان بأنه انتصر على الهاوية والموت ! وأنه رب الحياة بل أن مظهره القوى الذى ظهر به بعد القيامة كان اختبارًا شجع التلاميذ للقيام بأعمالهم المرسلية فيما بعد .

وأخيرًا ، لنرجع إلى ما قاله « هنرى لاثام » ، وسماه : « شهادة الأكفان » . فهذه شهادة لا تحطم « نظرية الإغماء » فحسب ، بل تحطم كل نظرية تفسر عقيدة « القبر الفارغ » تفسيرًا غير معجزى . فمن دراسة (يو ٢٠: ١ــ١٠) دراسة دقيقة فى الأصل اليونانى ، اقتنع « لاثام » بأن ترتيب الأكفان فى القبر كان عجيبًا « ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ، ودخل القبر ، ونظر الأكفان موضوعة ، والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعًا مع الأكفان ، بل ملفوفًا فى موضع وحده » (يو ٢٠: ٦ و٧) .

يدل المعنى اليونانى لكلمتى « موضوعة » ، « ملفوفًا » على أن الأكفان كانت مرتبة . فلم تكن ملقاة جانبًا ، كما أنها لم تطبق معًا ، وتترك كل قطعة وحدها . بل كانت الأكفان فى مكانها ، كما كانت عندما كان جسد يسوع فى القبر . كل ما حدث أن الجسد خرج ! وبقيت الأكفان كما كانت عندما كان الجسد موجودًا .

« فعندما قام المسيح من الأموات ، خرج من الأكفان وهى فى مكانها ، فنامت الأكفان على الأرض لأنه لم يعد فى داخلها جسد ، ولأنها كانت محملة بمائة مَنٍ من المر والعود (يو ١٩: ٣٩) . أما المنديل وقد كان صغير الحجم فلم يكن محملاً بتلك الأطياب ، وبعد ثلاثة أيام من استخدامه ، ترك

وحده ». (*)

شهادة الأكفان ، شهادة مزدوجة . ونحن نسأل ، إن كانت القيامة حدثًا طبيعيًا ، غير معجزى ، فكيف ، أولاً — بقيت الأكفان فى القبر ؟ وثانيًا — كيف أنها بقيت بنفس هذا الترتيب ؟

إن الحقيقة المقررة عن القبر الفارغ ، تعتبر أحد الأدلة القوية التى تدعم القيامة . فكم من سهام صوبها النقاد تجاه القبر الفارغ ، تحطمت فى داخله . وذلك لأن المعنى الوحيد للقبر الفارغ ، هو قيامة المسيح من الأموات . لا يوجد تفسير آخر لهذه الظاهرة . وأمام هذا الموقف المفزع لليهود ، الذين لم يجدوا وسيلة لمناهضة حقيقة القيامة ، لجأوا إلى شهود زور ، يدعون أن جسد المسيح قد سرق ليلاً .....

إن الذين يقاومون المناداة بصحة قيامة المسيح ، يعتبرون من أقوى العقول المفكرة فى هذا العصر . فهم ذوو مهارة وخبرة ودراية ، متضلعون فى علم الجدل . إلا أنهم ينظرون للحقائق بروح النفور ! وبما لهؤلاء من خبرة متسعة ، ومقدرةلاشك فيها ، لهم أيضًا كراهية شديدة للرسالة المسيحية . فهم وحدهم الذين — فى كل التاريخ البشرى يقدرون على تقديم الأدلة القوية لدحض حقيقة القيامة . ورغم هذا فأقوى دليل عندهم لمقاومة دليل القبر الفارغ، (**) هو أن تلاميذ المسيح سرقوا جسده ليلاً . وحيث أن أقوى دليل عندهم ، نراه ضعيفًا هكذا ، فلاشك أن المسيح قام .

(*) الأكفان — بناء على العادات الشرقية فى ذلك الحين — كانت على مجموعتين : مجموعة تغطى الجسد ، وأخرى تغطى الرأس والوجه ، على أن تترك الرقبة والكتفان عارية .

(**) قبر المسيح يختلف كثيرًا عن القبور التى نعرفها . وما زالت هناك قبور فى أورشليم على شاكلتها حتى عصرنا هذا . إنها مغارات كبيرة فى الصخر . وإلى جانب القبر افريز واحد أو أكثر ، يرقد فيه الجسد . ومساحة مدخل القبر ٤ × ٢ قدم ، وبابه قطعة من الصخر الدائرى ، وغالبًا ما يكون من الحجر الجلخ ، الذى يمكن أن يتدحرج على فوهة القبر .

الفصل السادس

ظهورات السيد المقام

أعطتنا الأناجيل مجموعة صغيرة من القصص عن يسوع . ولكن يجب أن نكون شاكرين لما ورد فيها . فقد سجل لنا العهد الجديد ما لا يقل عن عشرة ظهورات ليسوع بين يوم القيامة ويوم الصعود . وتلك هى :

(١) مريم المجدلية (يو ٢٠: ١ــ١٨، مر ١٦: ٩)
(٢) للنسوة (متى ٢٨: ١ــ١٠)
(٣) لبطرس (١كو ١٥: ٥، لو ٢٤: ٣٤)
(٤) تلميذى عمواس (لو ٢٤: ١٣ــ٣١، مر ١٦: ١٢ــ١٣)
(٥ ــ ٨) للأحد عشر والتلاميذ الآخرين :
أ ــ (لو ٢٤: ٣٦ــ٤٩، يو ٢٠: ١٩ــ٢٣، ١كو ١٥: ٥، مر ١٦: ١٤ــ١٨)
ب ــ (يو ٢٠: ٢٤ــ٢٩)
جـ ــ (مت ٢٨: ١٦ــ٢٠، ١كو ١٥: ٦)
د ــ (لو ٢٤: ٥٠ــ٥٣، أع ١: ٣ــ٩، مر ١٦: ١٩ــ٢٠)
(٩) لسبعة تلاميذ (يو ٢١: ١ــ١٤)
(١٠) ليعقوب (١كو ١٥: ٧)

فى صباح يوم الأحد التالى للصلب ، وجد قبر المسيح فارغًا وجسده غائبًا . والقبر الفارغ وحده ما كان يقنعنا اقناعًا كاملاً أن يسوع قد قام ! بل كان يثير الحيرة والارتباك ! ولكن ظهور المسيح بعد القيامة لأصدقائه ، فسر لهم حقيقة القبر الفارغ ، ودفعهم للخروج إلى شوارع أورشليم منادين برسالة القيامة . ففى خلال الستة أسابيع التالية للقيامة ، ظهر المسيح حيًا متكلمًا إلى أصدقائه مرات عديدة . فقد ظهر للأفراد أو للجماعات الصغيرة

أو الكبيرة من أتباعه ... ظهر مرة لخمسمائة منهم . ونحن نعتبر أن العشرة ظهورات المذكورة فى العهد الجديد جزء من ظهوراته الكثيرة جدًا التى تمت فعلاً . وهى تشهد أن القيامة تمت فعلاً ويجب أن نصدقها .

من هذا نرى أن التلاميذ صدقوا أن يسوع ظهر لهم . وحيث أنه لا منازع فى يقينية الإيمان ، فإن حقيقة ظهورات المسيح ، وما تلاها من نظريات لاثباتها ، كلها جاءت تشرح الفكرة . وهناك نظريات كثيرة نلخصها فى عبارة واحدة :

« نظريات الهلوسة والهذيان »

يقول أصحاب هذه النظرية إن المسيح لم يظهر فعلاً للتلاميذ ، بل كانت الرؤى فى خيال التلاميذ فقط ، وقادهم خيالهم للضلال . كان حب التلاميذ للمسيح ، وتعلقهم به ، جعلهم منتظرين تغلبه على الموت . وهذه الفكرة استبدت بعقولهم ، حتى تصوروا أنهم رأوه . كانت مريم المجدلية أول من أشعل الفكرة ، إذ ظنت أنها رأت ، فى الحديقة ، السيد المقام . وسرعان ما سرت العدوى الفكرية وانتقلت الهلوسة من واحد لآخر !!!.....

هذه النظرية هى الهلوسة بعينها ! فالهذيان يبدأ بتوقع حدوث الأمر . وهذا عنصر أساسى فى النظرية . فهل توقع التلاميذ قيامة المسيح ؟ كلا .. فإن يوم الجمعة ملأهم بالهزيمة . حطم قلوبهم ، وسحق أرواحهم ، وسلب أملهم ورجاءهم الوحيد . فلقد نُسجت للمصلوب خيوط الفضيحة والعار ، وبذلك دفنت معه كل آمالهم وأحلامهم . فشل يسوع فشلاً ذريعًا فى نظر التلاميذ ، ولم يبق للتلاميذ سوى أن ينقُذوا أنفسهم بأنفسهم . وقد كانوا على يقين بأنهم قد رأوا المسيح للمرة الأخيرة ، ولم يروه ثانية .

ونحن نرى صدق هذا ، فى تردد التلاميذ لتصديق فكرة حدوث القيامة . ولم يجرؤ واحد أن يعطى تصريحًا أو تعريفًا أو تفسيرًا للقيامة . بل على العكس ، عندما سمع التلاميذ بقصة القيامة من النسوة ، لم يصدقوها ،

« فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ، ولم يصدقوهن » (لو ٢٤: ١١). وواحد منهم لم يصدق القيامة حتى بعد أن أظهر المسيح نفسه لكثيرين : « أما توما ،.. فلم يكن معهم حين جاء يسوع ، فقال له التلاميذ الآخرون : « قد رأينا الرب ». فقال لهم : « إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير ، وأضع أصبعى فى أثر المسامير ، وأضع يدى فى جنبه ، لا أؤمن (يو ٢٠: ٢٤ــ٢٥) ». « ولما رأوه سجدوا له ، ولكن بعضهم شكوا (مت ٢٨: ١٧) ». هذه إشارات ، لو لم تكن واقعية ، ما كان من الممكن أن يسجلها كتَّاب الأناجيل ! أليس من العيب أن يقابل أعزّ أصدقاء المسيح خبر قيامته بالشك والارتياب ؟! ولكن هذه الحوادث التاريخية تجد مكانها فى التاريخ المقدس ، لأنها حوادث واقعية ، لا شك فيها . وهذا يؤكد لنا أن القيامة لم تكن متوقعة ولا منتظرة من قَبل التلاميذ .

وقد يعترض سائل : « ألم يتنبأ المسيح بقيامته من قبل ؟ أوَ لم تكفى تلك النبوات دليلاً ليتوقعوا قيامته ؟» حقًا ... لقد تنبأ المسيح لتلاميذه عن قيامته ، ولكنهم لم يفهموا قصده . وحتى الآن ، وفى نور القيامة ، نرى أن أقوال المسيح عن قيامته ليست تصريحات قاطعة ! فكم بالحرى ، يوم أن قالها يسوع هل كان من السهل على التلاميذ أن يصدقوا أن سيدهم سيموت ثم يقوم ؟ وربما قصد المسيح أن يترك حديثه غامضًا ، أو ربما كانت فكرة القيامة غريبة عنهم ، وصعبة التصديق ، وبذلك لم يفهم التلاميذ قصد يسوع فيما قاله لهم . أو ربما ــ وهذا أقرب إلى الصواب ــ أراد التلاميذ أن يتهاونوا فى التفكير فى كلام المسيح تفكيرًا جديًا ، لأنه حدثهم عن موته المزمع أن يكون . ولم يفهم التلاميذ ماذا قصد يسوع بالحديث عن موته . فهل كان من الممكن لهم أن يفهموا ما قاله لهم عن قيامته ؟! وحيث أن محاولة يسوع لتفهيم التلاميذ موته وقيامته ذهبت أدراج الرياح ، فإن صلب المسيح كان صدمة قوية قاسية على التلاميذ .. تركتهم فاقدى الوعى .

دعنا نقتفى آثار التاريخ ، علنا نجد حادثة تشبه قيامة المسيح . يقول

المعترض : لقد توقع الناس فى العصور الغابرة أنهم يقومون بعد الموت . والتلاميذ كانوا يؤمنون أن الأبطال لا يموتون . لهذا كان من السهل عليهم أن تخدعهم الخرافة عن يسوع المقام .

ولكن حوادث القيامة قليلة . يذكر رينان فى كتابه (Les Apotres) قائلاً « لا يموت الأبطال ... ففى الوقت الذى انقضى فيه أجل النبى محمد ، خرج عمر من خيمته ، والحسام فى يده ، وأقسم أن يقطع رقبة من يقول إن النبى مات ». ويُعلق جيمس أور على ذلك قائلاً : « لكن الأبطال يموتون . فأتباع النبى لا ينكرون أن النبى مات ، ولا ينادون أنه قام من الأموات . فإنه لا توجد ديانة فى العالم تنادى بقيامة مؤسسها من الأموات ، سوى المسيحية ».

وهاك بعض أمثلة من ظهورات المسيح ، كما جاءت فى الأناجيل ، التى لا يمكن أن تكون مجرد هلوسة أو خيال . فالتلاميذ لم يكونوا أسرى لعقول سريعة الانفعال ، تخضع سريعًا لإيحاء عقول أخرى سريعة الانفعال ! فلو خالجنا الظن أن النسوة معرَّضات لمثل هذه الحالة ، فالرجال ، ولهم خبرة ودراية محدودة فى دائرة عملهم اليومى — لا يُعقَل أنهم يُستعبدون لخرافات خيالية لا تستند إلى دليل . وعقول التلاميذ ، لم تكن لتخضع بسهولة لإيحاء النسوة وخيالهن ، لو لم يكن يسوع قد قام فعلاً .

كما أن الظروف التى تمت فيها ظهورات المسيح ، لا يُلتبس فيها الواقع مع الخيال . ولا يظهر فيها أيضًا أثر للإيحاء الجماعى الذى أثر فى عقول الجماعة دفعة واحدة . فإن أمامنا مجموعة من ظهورات المسيح المقام ، التى تمت لأفراد أو جماعات منفصلة عن بعضها البعض ، وفى فترات مختلفة ، وأماكن متعددة .

والحقائق التى تتولد عن الهلوسة ، حقائق لا تخلد . وظهورات المسيح للناس لم تكن لمحات عابرة ، فقد جلس وتحادث مع أصدقائه فترات طويلة من الزمن .

والخيالات ، بمجرد أن تبدأ ، تكثر جدًا ، ويُبالَغ فى وصفها . لم تكن

ظهورات المسيح كذلك ! فلقد كانت لها صفاتها المتميزة . استمرت لمدة ستة أسابيع ، انقطعت بعدها دفعة واحدة. أما الهلوسة ، فهى تبدأ ، ثم تنمو بسرعة ، وتتَّخذ صفات متعددة ، وتستمر لفترة طويلة الأمد ، ثم تخمد ببطء حتى تتلاشى . أما ظهورات المسيح فقد ظهرت لفترة قصيرة ثم خمدت فجأة .

ونحن نرى من الأناجيل ، أن ظهورات المسيح تمت بنظام وتنسيق واضحين . فبدأ المسيح عند القبر . ثم ظهر لأصحابه على مسافات تبعد عن القبر تدريجيًا ، وختمها عندما تيقَّن التلاميذ أن سيدهم لا يُحدُّه زمان ولا مكان . فلو كانت ظهورات المسيح للتلاميذ من اختراعهم ، لكنا نتوقع أن تحدث الظهورات كيفما اتفق . ولكن يتضح لنا أن ظهور المسيح تقدم فى خطوات متوالية من القبر إلى أماكن أخرى ، حتى آمن تلاميذه بأن سيدهم قد تحرّر من قيود الزمان والمكان . ألسنا نرى فى ذلك أن هذا تدبير مدبَّر خارجًا عن دائرة تفكير التلاميذ وتوقعهم ؟ فلقد أراد المسيح أن يؤكد لتلاميذه أنه موجود فى كل مكان . ومتى آمن تلاميذه بهذه الفكرة ، أمكنهم القيام بمهام خدمتهم المقبلة بنجاح باهر .

ولعلنا نرى أن ظهورات المسيح أثرت على عقول التلاميذ وسلوكهم . وهذا تأثير لا تحدثه هواجس وخرافات من تأليف البشر ! فلو كان الهذيان قد احتل مكانًا راسخًا فى عقيدتهم ، ما كانت أفكار التلاميذ تكون واضحة فى فهمها لشخصية المسيح ، وما كانت تكون لهم الرغبة الملحة لاتِّباعه ، والنشاط للوعظ به . يلخص أ. ب. بروس رأى ثيودوركيم هكذا : « لو كان حماس التلاميذ ، هو الذى ولَّد هلوسة عقيدة القيامة ، لكنا ننتظر أن ذلك الحماس يبرد شيئًا فشيئًا ، حتى يخمد لهيبه ، ويصل إلى الكسل والخيبة ، والضعف والجمود ». ويستنتج كيم أيضًا : « حيث أن الرؤى انتجت فورًا ذلك النشاط والغيرة فى الخدمة ، فلا بد أن تلك الرؤى كانت حقيقة واقعة ، ولم تكن خيالاً ، ولا اختلافًا ...».

وثيودور كيم ، بين آخرين من أقرانه ، يؤمنون بأن الرؤى لا بد أن تكون

من خارج الإنسان . ولكنهم رفضوا المصادقة على صون عقيدة القيامة بكاملها ، وأرادوا أن يجدوا تفسيرًا متوسطًا . وبذلك قال كيم ، إنه بينما رقد جسد المسيح فى القبر ، ذهبت روحه إلى التلاميذ لتؤكد لهم أن سيدهم غلب الموت . وكان ظهور الروح للتلاميذ فى فترات متباينةوكأنها كانت « تلغرافات من السماء » . ولكن ما رآه التلاميذ لم يكن خيالاً اختلقته عقولهم ، لكنه كان حقيقة واقعة ، لا مراء فيها . وإلاَّ ، فإن كان ما رآه التلاميذ ليس سوى رؤيا ، فهى لا تتطلب إيماننا ، لأنها قيامة « روح » المسيح فقط .

هذه نظرة غريبة . إنها أيضًا تعتمد على أن القيامة لم تتم ، وأن الرؤى كانت خيالية . وإلاَّ ، فإنها لا تحل المشاكل المسببة لها ، بل بالحرى تزيدها خطورة . والفكر الرئيسى خلف تلك النظرية هو عدم الإيمان بقيامة من الأموات فوق طبيعية ، ولكن « التلغرافات التى من السماء » حادثة أيضًا فوق طبيعية . ولسنا نرى ، كيف أن كيم واخوانه يجدون أن الإيمان بتلك « التلغرافات » أسهل من الإيمان بالقيامة ذاتها !!

وعلى أى حال ، فمثل هذه النظرية التى تدعى بأن اعلانات الله لنفسه كانت مجرد « هلوسة »، نظرية منقوضة من أساسها ، بناء على الأسس الضعيفة الواهية التى تستند عليها . فإن صفات ظهورات المسيح ، وشهادة الرسل على ذلك ، لا تتناسب قط مع النظرية التى نادى « كيم » بها . وما زالت أمامنا ، عقيدة القبر الفارغ ، التى لا تدانيها الهلوسة أو الرؤى .. أيًا كانت .

الفصل السابع

طبيعة جسد المسيح المقام

ما سبق أن درسناه جدير بأن يثبت أن قيامة المسيح حقيقة تاريخية لا يدانيها شك . ولكن ليس معنى هذا أنه لا توجد مشاكل أخرى بإزاء هذا البحث ! إحدى هذه المشاكل هى :

ما هى طبيعة جسد المسيح المقام ؟

لسنا ندَّعى بأننا قادرون على حل هذه المشكلة العويصة . فالحل الكامل لها يبدو — فى الوقت الحاضر — بعيدًا عن إدراك العقل البشرى . ولكن دعنا نتأمل فى هذه الأمور .

أولاً : عندما نفهم حقيقة القيامة ذاتها ، من الوجهة التاريخية ، لا نجد صعوبة ما فى فهم الحوادث التى رافقتها . ورغم أن هذه حقيقة واضحة ، دعنا ندرسها لنزيدها وضوحًا . فهناك مؤمنون يحيرهم الشك ، وهناك نقاد يقلقهم عدم الإيمان . ولا شك ، أننا نفتقر إلى فهم طبيعة « جسد القيامة ». ولكن هذا لا يؤثر على صحة القيامة . كما أن عدم فهمى لكيفية إشراق الشمس على الأرض ، لا يعنى أنها لا تُشرق ! ولكى نجد حلاً معقولاً يشرح لنا « جسد القيامة » كأساس للإيمان بالقيامة ، لندرس الأمر بطريقة عكسية — فمحاولة الوصول إلى هذا الشرح يعتمد على يقينية القيامة أولاً .

ثانيًا : كيف يمكننا أن نفهم طبيعة « جسد المسيح المقام » من جانبنا البشرى ؟ فإنه لا يجب أن نقول إن جسد المسيح يمكن أن يكون جسدًا نفهم نحن طبيعته . فإنه قبل القيامة ، رغم أن المسيح كان خاضعًا لما نسميه « قوانين الطبيعة » إلاّ أنه استخدم تلك القوانين بطرق أخرى لا يمكننا أن ندرك حقيقتها . فلماذا نظن أنه بعد القيامة ، يجب أن يكون جسده محدودًا بالزمان والمكان ، كأجسادنا .

ثالثًا : أخطأ الكثيرون إذ وضعوا النظرية أولاً ، ثم حاولوا أن يطبّقوها على الحقائق . ولهذا لم ينجحوا . فعلى الباحث المدقق أن يدرس الحقيقة الواقعة أولاً ، ثم يستخرج منها النظرية التى يعتمد عليها . وحيث أن الجسد المقام يجب أن يُعَرَّف ، فهناك احتمالان فقط : إما أن قيامة المسيح قيامة « جسدية » ، أو أنها « خيالية » ـــ أى مظهر لا حقيقة . والباحثون ـــ يخطئون ويختارون احدى هاتين النظريتين ، ويطبقونها ، ويُكيِّفون الحقائق لتتناسب مع نظريتهم . ولسنا نرى فى أية نظرية من هاتين حلاً كاملاً ، بل يظهر لنا أن الحق قائم بينهما .

لسنا نوافق على أن المسيح المقام « جسد » أو « روح » . والتوضيح الحقيقى ، أيا كان ، يجب أن يعتمد على أسس ثلاثة :

١ ـــ تُرك القبر فارغًا ، ٢ ـــ ظهر المسيح بجسده المرئى المحسوس ، خلال الأربعين يومًا (أع ١: ٣) ، ٣ ـــ خلال الأربعين يومًا بذاتها ، أظهر المسيح أعمالاً تدل على أنه لم يكن له جسد ، كظهوره واختفائه متى أراد .

وأخيرًا ربما يكون من الأفضل أن نصف جسد المسيح المقام ، بأنه جسد « روحانى »، مشيرين إلى ما جاء فى (١كو ١٥) عن قيامة أجساد الأبرار . وفى الواقع لم يسجل لنا الكتاب شيئًا عن تحول جسد يسوع المادى إلى جسد روحانى . وما ذكره بولس عن قيامة أجساد الأبرار ، لا يفسِّر لنا كيفية تحوُّل الجسد المادى إلى جسد روحى ؟ ولا تشرح لنا ماهية الجسد الروحى ؟ فالسر ما زال سرًا ! ولكن يظهر لنا أن هذه المقارنة أفضل طريقة لشرحها ، رغم اعتراض مشاكل كثيرة لنا بإزاء هذه المقارنة . ومعنى « الجسد الروحى » هنا ، ليس هو ما ينافى وجود المادة . فهل ترى أن ذلك الجسد بعد القيامة صار الجسد الكامل ، الخاضع خضوعًا مطلقًا لروحه ، وبالتالى صار حرًا من القيود التى تقيد الجسد المادى ؟

ها أنا أرى أمام هذا الشرح ، خمود حدّة الانتقادات التى سلطها أرباب النقد على حياة المسيح خلال الأربعين يومًا التى تلت القيامة . إننا لن نقدر

أن نفهم كيف كان جسد المسيح ماديًا وغير مادى فى وقت واحد !! ولكن فكرة « الجسد الروحانى » أقرب إلى إدراكنا وأسهل .

دعنا نقرأ (لو ٢٤: ٣٦ـ٣٩) ، « وفيما هم يتكلمون بهذا ، وقف يسوع نفسه فى وسطهم ، وقال : « سلام لكم » ، فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحًا . فقال لهم ، ما بالكم مضطربين ، ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم ؟ انظروا يدىّ ورجلىّ . إنى أنا هو : جسونى وانظروا ، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى » ، ففى هذه المرة ، وقف يسوع بينهم وأراهم يديه ورجليه . إن ما قد نراه عسر الفهم ، يظهر لنا سهلاً واضحًا خاصة عندما نفهم أن جسد المسيح قد صار « جسدًا روحيًا » ، لا يخضع لالتزامات الجسد البشرى . ويفسر وستكوت هذا قائلاً : « قام السيد من القبر . والذين عرفوه من قبل ، عرفوا أنه هو هو ، وأنه أيضًا تغير ». فالذى ظهر للتلاميذ هو يسوع نفسه . لم يكن روحًا مجردًا من الجسد ، ولكن ما رأوه كان يختلف عن الجسد البشرى ، بل كان أرفع من أن يخضع لنواميس الجسد الإنسانى .

يمكننا أيضًا أن نلقب جسد المسيح بأنه « جسد ممجد» . وهذا اللقب قد يوضح المعنى بأكثر دقة من سابقه . فهو يحمل الفكرة المزدوجة للاستمرار والتغير . لقد كان هو هو يسوع ، ولكنه لم يعد إلى جسده البشرى الأول . كما أن روحه لم تتجرد من الجسد . فالجسد الذى كان فى القبر ، هو نفسه الذى قام به يسوع ، ولكنه تغير .. ليتوافق مع ظروف حياة أسمى .

من هذا نستنتج ، أن المسيح قام من الأموات جسدًا وروحًا و لم يترك شيئًا من ذاته فى القبر ، بل ترك القبر فارغًا . وكان هذا هو الطريق الأوحد للنصر على الموت . ونستنتج أيضًا أن تغير جسده رمز لتغير جسد الإنسان البشرى ، الذى فيه تسيطر الروح كلية على المادة . هذا الجسد يسير بمقتضى قصد الله ، وفى النهاية يرفعه الله ويمجده .

لا شك أن قيامتنا تختلف عن قيامة المسيح كثيرًا ، ولهذا يجب ألا نستدل

كثيرًا على قيامتنا من قيامة المسيح . إلا أن بعض العناصر تشترك فى كليهما . ففى قيامة الإنسان ــ ويوافق بولس على ذلك ــ نرى عنصرى الاستمرار والتغير فى الجسد المقام . وقيامتنا ، هى فى معناها الحقيقى ، قيامة الجسد ، ليس هذا الجسد المادى الحاضر ، بل الروح المكشوف الذى يحمل صورة صادقة من شخصية المقام . فالاختلاف بين الجسد الحاضر والجسد المقام اختلاف واضح . لكن عنصرًا أساسيًا يبقى فيه ، هو نفس العنصر الذى يبقى فى الأثمار من البذرة التى ألقيت فى الأرض . هذا ــ علمًا بأننا لا نقدر أن نفصل بين قيامة الإنسان ، وقيامة المسيح ، وقيامة المسيحيين جميعًا . فحوادث القيامة لا يمكن أن تكون منفصلة . لأنه فى القيامة من الأموات يجد الفرد والمجتمع المفتدى موافقتهم الكاملة .

ولنعد إلى سر قيامة المسيح . إنها سر رغم كل ما تحدثنا فيه ، وتظل سرًا . كيف حدثت القيامة ؟ لا نعلم ! ــ ولسنا قادرين على معرفة ذلك . ولسنا ندرك أيضًا كيف أن يسوع ظهر لتلاميذه . ظهر تارة كأنه جسد فقط ، وتارة أخرى ظهر كأنه روح فقط .

يحدثنا « أور » بالفكرة القديمة بأن فترة الأربعين يومًا بعد القيامة ، كانت فترة تحول . كان فيها جسد يسوع فى حالة متوسطة . فلم يكن جسدًا ماديًا كلية ، كما أن جسده لم يصل حالة التمجيد كلية . فقد كان فى ذلك الجسد بعض الصفات اللازمة للدلالة على صفات ذلك لجسد ، لترى الحالة التى كان عليها ذلك الجسد قبل موته .

وفى نفس الوقت كانت له بعض الصفات التى تدل على أن الحالة الفوق طبيعية قد بدأت تظهر فيه .

ويرجح قول وستكوت أن جسد المسيح قد تغير فعلاً إلى حالته « الروحية » أو «الممجدة » ، وصار حرًا طليقًا ، أسير قيادة « الروح » فقط . وأن مظاهر الأيام الأربعين التى كان فيها جسد المسيح مسموعًا ، محسوسًا ، مرئيًا ، كانت

لمحات قدمت خصيصًا للتلاميذ . ولكننا أيضًا لا نعلم ...

كل المحاولات لتفسير سر « جسد » القيامة ، محاولات لا تخلو من الطرافة . ولكنها ليست تفسيرات يعتمد عليها كل الاعتماد . وعلى أى حال ، ليس من الهام واللازم أن نفهم كيف قام سيدنا ، أو ما هو الجسد الذى ظهر به للتلاميذ ؟ إنه يكفى أن نؤمن بهذه العقيدة القديمة ، وهى أن يسوع قام . ولكنه لم يقم كما قام لعازر ليعود إلى الحياة العادية ، ولم يقم قيامة الروح ، ولكنه قام منتصرًا على الموت ، وترك القبر فارغًا . وفيه اتحد الروح والجسد اتحادًا كاملاً ، غير أن جسده الأرضى الغير خالد لم يبق له أثر .

الفصل الثامن

شهادة بداءة الكنيسة

نتحدث فى هذا الفصل عن بعض النقاط الهامة فى بداءة الكنيسة الأولى التى تجد تفسيرًا لها فى قيامة المسيح .

(١) كيف تغير التلاميذ ؟

لتقد تغير تفكير أتباع المسيح ونظرتهم للحياة فى عيد القيامة . تركهم الصليب محطمى القلوب ، فاقدى الأمل . فلقد مات من آمنوا به كالمسيا . والحياة المجيدة التى عاشوها معه ، انتهت نهاية مؤلمة معيبة . لهذا تواروا خلف الجدران المغلقة لسبب الخوف من اليهود . فلقد ظنوا أنهم لو لم يختفوا ، لشاركوا سيدهم نهايته المحتومة .

وبعد أيام قليلة ، ما كنت تقدر أن تعرفهم . فلقد تحول يأسهم وفشلهم إلى تهلل وفرح . وسرعان ما خرجوا إلى شوارع أورشليم ، قلعة أعدائهم ، وأعلنوا على الجماهير قيامة سيدهم دون خوف أو وجل .

كيف حدث هذا التغير ؟ لا بد أن اختبارًا جديدًا افتقدهم بعد الجمعة الحزينة ! وماذا يكون هذا الاختبار ، سوى ـــ ما نادوا به ـــ أن يسوع قد قام من الأموات ؟ إن هذ التغير تغير سيكلوجى ، لا تفسره سوى قيامة المسيح .

(٢) كيف ولدت الكنيسة ؟

كان يوم القيامة هو يوم ميلاد الكنيسة . وبدون قيامة المسيح ما كانت الكنيسة لتعيش . ولو كان المسيح الميت هو آخر من رآه التلاميذ ، لكان من المؤكد ـــ كما يظهر لنا ـــ أن يعود الجميع إلى أعمالهم ، ويتركوا رسالة

المسيح . ربما كانوا يحتفظون فى ذكراهم بالأيام السعيدة التى قضوها مع نبى الجليل ! وربما كانوا يحفظون فى قلوبهم لوعة الألم على فراق السيد ، وفراق تلك الأيام السعيدة التى قضوها معه ! ولكن ، ما قيمة تلك الذكريات ، وهم أيضًا يحملون فى مخيلتهم صورة النهاية المروعة التى ختم بها سيدهم حياته ؟!! وربما كانوا فى زياراتهم يتحدثون عما كانوا يحلمون به فى تلك الأيام الأولى . ولا شك أنهم كانوا يصمتون عن التحدث عن سيدهم أمام من لم يكونوا من أتباعه . فلو تحدثوا إليهم لكانوا يجلبون لأنفسهم التوبيخ والتقريع والغضب . وما كان من الممكن أن يعظوا به . ولماذا يعظون ؟ هل ينادون بسيد ختم حياته بمأساة فاشلة ؟

ولو قالوا لأحد إنهم كرسوا أنفسهم لاتباع ذاك ، لكانوا فى مصاف الأغبياء ! فمن يرضى بأن يتبع مائتًا ، انتهت حياته بالصليب ؟!

هذا ما كان يحدث لو لم يقم المسيح من الأموات . وكانت ذكرى ذلك الناصرى تخمد تدريجيًا ، ولكننا نعلم يقينًا أن التاريخ كان مختلفًا عن ذلك كل الاختلاف فبعد أن تحطمت قلوب التلاميذ ، وخيم عليهم حزن الجلجثة ، اشتعلوا بنار الغيرة التى لا يدانيها خوف . فلم يتشتتوا ، ولم يعودوا إلى الأول ، بل تراهم وقد امتلأوا بالفرح ، واتحدوا فى حرب تبشيرية قوية فى نفس المدينة التى تم فيها الصلب ، وانتهزوا كل فرصة للمناداة باسم يسوع ، ودعوة الآخرين لاتّباعه — اتّباع مخلّص حى لا بطل ميت !

أمامنا صورة ما كان من الممكن أن يحدث لو اختتم المسيح حياته بالصليب . وأمامنا أيضًا صورة تاريخية لما تم فعلاً ، فهل هناك شىء ، سوى قيامة المسيح ، التى تشرح لنا سر هذه الحوادث ؟

(٣) كيف نمت الكنيسة وعاشت ؟

افترض معى أن المسيح لم يقم ، وافترض معى أيضًا أنه أمكن تأسيس الكنيسة رغم ذلك . فهل كنت تتوقع لتلك الكنيسة أن تعيش أبدًا ؟ لقد كانت

الكنيسة فى بدئها ، مجموعة صغيرة من أقلية تعيش فى وسط أعداء ألداء وعندما بدأت المناداة باسم المسيح ، كان عدد المسيحيين الذين اجتمعوا معًا فى أورشليم ١٢٠ نفسًا (أع ١: ١٥) ، ولم يكونوا عائشين على أرض العدو فحسب ، بل كانوا تحت سطوتهم وسلطانهم . وأورشليم موطن أولئك الذين كرهوا اسم يسوع ، وقادوه للصليب ، أقطاب اليهود ، ورؤساء الكهنة ، والفريسيون وغيرهم .

أولئك هم الذين سعوا جاهدين ليثبتوا بطلان القيامة ، وليقاوموا بكل قوتهم تكوين الجماعة المسيحية ، ويسلبوها تدعيم الشعب لها أو تأثيرها على الناس . فلو لم تكن القيامة صحيحة ، لكان بدء التبشير فى أورشليم غباوة وجهلاً .

لأن أورشليم هى البلدة التى تشهد ببطل ادعائهم . وما كان يكون أشد من معارضة اليهود ، وقسوتهم فى مغاملة تلك النبتة المسيحية اليانعة ، لو لم يكن المسيح قد قام .

فلنرحل إلى أورشليم ، لندرس الحالة إبَّان اعلان القيامة . لقد ابتهج اليهود بصلب المسيح ، إذ ظنوا أنهم ختموا حياة شخص كدر عليهم المعيشة . كانوا حريصين كل الحرص على ألاّ يعود تلاميذه للوعظ به . ولا يخفى علينا أن أولئك اليهود ، وقد كانوا أذكياء عباقرة ، وقد استبد بهم روح النقد الشديد ، لم يألوا جهدًا للبحث عن مدى صحة القيامة من كل جانب . ولو كان هناك ضعف من أى جانب ، لكان قد ظهر على بساط البحث ، مُبالغًا فيه . فهل كان هناك أمل لقيام المسيحية ، لو لم يكن المسيح قد قام ؟ وهل كانت الكنيسة تبدأ رسالتها فى أورشليم ، حيث كان من السهل على الناس أن يعرفوا الحقيقة الواقعة ؟

فى أورشليم أناس حذقوا القانون ، وتضلَّعوا فى علم الجدل والمناقشة ... أما التلاميذ ، فهم طبقة بسيطة من الشعب . قلائل منهم تعلموا تعليمًا بسيطًا ، ومعظمهم لم يتعلموا .

هؤلاء مصارعون التقوا فى مسرح أورشليم ، منذ ألف وتسعمائة سنة . ورغم مقاومة أرباب الشريعة لهم ، نجحت رسالة المسيح بواسطتهم ... وما كان من الممكن أن تنجح ، لو لم يكن المسيح قد قام .

عاشت الكنيسة ، بل أيضًا ونمت . ومعنى هذا ليس أن الأدلة على صحة القيامة كانت قوية لم يقدر الأعداء على مناهضتها فحسب ، بل كانت قوية لدرجة أنها اجتذبت كثيرين من أرباب الشك للإيمان بها . وهنا تثبتت أقدام الكنيسة . وفى أقل من جيل واحد امتدت رسالة الإنجيل إلى ما وراء الأرض التى وُلدت فيها المسيحية — إلى آسيا الصغرى ، واليونان ، بل وروما نفسها . وصار أتباعها بالآلاف فى كل مكان . هل كان من الممكن أن تمتد رسالة الكنيسة هكذا ، لو كانت عقيدتها الأساسية مبنية على خداع أو خرافة ، سواء أكانت الخرافة مدبرة أو غير مدبرة ؟ أولئك الذين انضموا إلى الكنيسة ، كانوا أناسًا على غير استعداد أن ينساقوا وراء قصة قيامة ما . بل كان اليهود واليونان متحاملين على الرسالة المسيحية . ووعاظ المسيحية كانوا فى ذلك الحين مرمى للبحوث والجدل . وكان عليهم أن يجاوبوا أسئلة النقاد وامتحاناتهم لصحة الرسالة المسيحية ، مع ذكر الأدلة التى تبرهن على ذلك . ومع ذلك ، فالمتجددون للمسيحية كانوا فيضًا غامرًا فى أحضانها .

وأهم من هذا كله ، حقيقة تتصل بحياة الكنيسة فى أورشليم نفسها . فقبل الوعظ بالقيامة ببضعة أسابيع ، كانت خدمة المسيح قد وصلت إلى نهايتها المحتومة على الصليب . لا بد أن كثيرين من شعب أورشليم الذين سمعوا عن القيامة ، كانوا قد رأوا المسيح فى آلام موته ، ويعرفون تمامًا ما حدث له . وكانوا قد اعتقدوا أن الصلب ختم حياته . ويكون بذلك أن المسيح قد دمغ رسالته بأنها غير صحيحة . عاش هؤلاء فى عصر المسيح ، وفى نفس البلدة التى صلب فيها . وبذلك كانت قصة القيامة تحت الفحص والاختبار المباشر ، خاصة وأن أرباب السلطة الذين جرفوا الشعب فى تيارهم ، أنكروا القيامة كلية ، ونقضوا ما نادى به التلاميذ ، وحاولوا أن يكتشفوا فى قصة التلاميذ

نقاط الضعف . وأمام كل هذا ، نرى بوضوح أن قصة القيامة كانت مبنية على أدلة دامغة لدرجة أن كل تلك الجماهير صدقتها ، وتجدد الآلاف فى الأسابيع القليلة الأولى . وهذا التغيير العظيم لا يجد له تفسيرًا سوى فى قيامة المسيح .

(٤) لماذا قدسوا اليوم الأول من الأسبوع ؟

يوم العبادة الرئيسى عند المسيحيين هو اليوم الأول من الأسبوع ، أى يوم الأحد . وليس هو يوم الراحة اليهودى ، يوم السبت . لسنا نعرف بالضبط متى كان اليوم الأول من الأسبوع « يوم العبادة »؟ لأن المسيحيين الأوائل ، الذين جاءوا من أصل يهودى ، واظبوا مدة ليست بقصيرة على التعبد يوم السبت ولكنهم بدأوا العبادة يوم الأحد فى عصر مبكر جدًا . نقرأ فى سفر الأعمال (٢٠: ٧) « وفى أول الأسبوع ، إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزًا ، خاطبهم بولس ». اليوم عند اليهود يبدأ بمغيب الشمس إلى مغيبها التالى . وربما كان اجتماع التلاميذ يوم السبت مساءً ، بعد غروب الشمس ... الذى يعتبر عند اليهود ضمن يوم الأحد . ففى بدء الكنيسة ، كان هذا الوقت هو الوقت الوحيد الذى تفرغوا فيه للعبادة ، حيث أن يوم الأحد نفسه كان يومًا من أيام العمل الأسبوعى فى تلك الأيام . ومن ثم صار يوم الأحد ـــ تدريجيًا ـــ اليوم المفرز للعبادة ، يوم الراحة للمسيحيين .

هذه حادثة تستحق الالتفات والدراسة . فلقد كان المسيحيون الأوائل يهودًا ، واليهود المتجددون صاروا نسبة كبيرة من تعداد الكنيسة الأولى فى القرن الأول الميلادى . وتغيير يوم العبادة عندهم لابد أن يستند إلى أسباب جوهرية . وما هى تلك الأسباب ، سوى عقيدتهم الراسخة بأن سيدهم قد قام من الأموات فى ذلك اليوم .

يضاف إلى ذلك ، اللقب الذى سجله سفر الرؤيا عن اليوم الأول من

الأسبوع ، بأنه « يوم الرب » (رؤ ١: ١٠) . كتب سفر الرؤيا فى آسيا الصغرى حيث كانت عبادة الإمبراطور هى العبادة الغالبة . وحيث كان الناس يعيدون يومًا فى كل شهر ، يسمى « يوم الإمبراطور ». وكان ذلك اليوم لذكرى اعتلاء الإمبراطور على العرش . من هذا نرى أن المسيحيين فى كل العالم فى ذلك الحين ، اعتمدوا اليوم الأول من الأسبوع « يوم الرب » . وذلك كان لهم ذكرى اعتلاء المسيح على عرشه ... يوم خروج المسيح من قبره . يقول دكتور دينى « كلما مر يوم أحد . يجدد اليقين بالقيامة . فإن المبايعة الحاسمة للدين الجديد تمت فى ذلك اليوم . وحادثة القيامة لا يعتريها الشك ، لأنها غيرت يوم الراحة اليهودى ..»

(٥) كيف تجدد الكهنة ؟

لقد كان تأثير القيامة عظيمًا لدرجة أن كثيرين من أصحاب الرتب السامية عند يهود أورشليم ، صدقوا القيامة ... بل إن التأثير امتد حتى تجدد بعض الكهنة اليهود (أع ٦: ٧) . أولئك كانوا ضمن أقوى حزب فى عداوة المسيح . وكانوا أيضًا أدرى بكل الأدلة التى أدلى بها حزب اليسار ضد فكرة القيامة ، وحقيقتها . وحيث أنهم تحاملوا على رسالة القيامة ، ما كان من المتوقع أن يتجدد أحد منهم للمسيحية . ولكن كثيرين منهم آمنوا . ومن الأكيد ، أن تجديد مثل هؤلاء لابد أنه كان نتيجة لاقتناع أكيد ، لا يرفضه سوى العنيد الذى لا يقبل الحقائق ولو كانت أمامه الأدلة المقنعة .

(٦) كيف تجدد شاول ؟

ربما مرت أربعة أعوام بعد صلب المسيح ، عندما كان يهودى صغير السن ، يكره الإيمان المسيحى بكل مشمولاته ، ويقاوم اتباع المسيح بكل ذرة فى طاقته الحيوية ... نراه وقد تغير كلية ، وصار من قادة الكنيسة الغيورين الأذكياء ، الذين يحامون عن الإنجيل . لقد كان معلمًا وفريسيًا ، له مكانة عالمية مرموقة ،

مضطهد المسيحية . إنه بولس الذى ما كان يمكن أن يظن بشر أنه يصير مسيحيًا . ولكنه صار مسيحيًا ، وصار تجديده معروفًا للجميع إذ أثار دهشتهم (أع ٩: ٢١) !!!

هذا الحادث يستحق التقدير أكثر ، متى تذكرنا كراهية بولس واضطهاده المتواصل للمسيحيين ، حيث كانت له المعلومات الكاملة عن المسيح من الكهنة . وحيث أنه أحد الفريسيين ، وكان يرأس حملة تقاوم تعليم القيامة من الأموات ، كانت له كل المعلومات التى اتخذها قادة اليهود ، أو التفسيرات « غير المعجزية » التى بنوا عليها نقدهم للقيامة ، لزعزعة إيمان المؤمنين بصحة قيامة المسيح من الأموات . ولا شك أنه كان متحاملاً ضد المسيحية فكريًا وعاطفيًا . ولكننا نراه يتغير على حين غرة ! فحينما خرج فى طريقه إلى دمشق للاشاة المسيحية والمسيحيين من هناك ، وصل إلى دمشق مؤمنًا بأن المسيح قد قام من الأموات !!! لقد ظهر له المسيح المقام ...

وظهور المسيح المقام لبولس فى طريقه إلى دمشق ، أمر تختلف فيه وجهات النظر . فظهور المسيح لشاول يختلف اختلافًا واضحًا عن ظهورات المسيح بعد قيامته مباشرة . وكان شاول نفسه متأكدًا أن ظهور المسيح هذا مستقل عن الظهورات السالفة . ورغم هذا ، فهو يضيف هذا الظهور إلى قائمة ظهورات المسيح السابقة فى (١كو ١٥) . وبالقياس إلى فهم الرسول بولس لظهور المسيح له ، ترى أنه يتخذ هذا الظهور دليلاً على قيامة المسيح . وفى هذا نرى أن ظهور المسيح لبولس ، مساوٍ لظهوره للتلاميذ قبل الصعود . فلو كان هذا الظهور خيالاً فى عقل بولس ، فإن هذا لا يقلل من قيمته ! فالحقيقة الواقعة هى أن هذا ما كان يمكن أن يتم ما لم يقتنع بولس بصحة القيامة ، وكان اقتناعه اقتناعًا واعيًا ، أو احساسًا وجدانيًا باطنيًا . وبولس — بين جميع الناس — ما كان من الممكن أن يقتنع ما لم يكن هناك دليل كالذى رآه — رغم أنفه . دليل لم يقدر أن ينكره .

ويدعم معنى تجديد شاول النقاط الأربعة الآتية :

(أ) بولس رجل متفوق الذكاء وباتفاق الجميع ، هو أحد المفكرين العباقرة فى التاريخ البشرى . كما كان واسع الدراية والعلم ، وله المؤهلات العلمية . لن ينكر أحد أن عقلاً مفكرًا باحثًا ، كعقل بولس ، ما كان يكون ساذجًا لدرجة أن يخضع ويستسلم بسهولة للآخرين . إنه يمتحن الدليل ، ويفحص الاختبار ، ويضع الحقائق المقررة على بساط الفحص الدقيق . رجل لا يمكن أن تؤثر عليه ليقبل عقيدة ما ، تستند على أدلة كاذبة ، أو خيالات وهمية !

(ب) إن دراسة بولس كلها ، وخبرته فى ماضى حياته كفريسى غيور ، كافية لتقود بولس إلى معارضة كل احتمال لصحة رسالة المسيحيين . بل إن مجرد التفكير فى رجل مصلوب ، بأنه المسيا ، يعتبر أناثيما فى نظره ! فلا عجب إذًا ، إن كانت كراهية بولس للمسيحيين كراهية قوية ، مستندة إلى اعتبارهم مجدفين وخادعين . رجل كهذا لا يقبل المسيحية إلا متى لم يجد لنفسه طريقًا سواها .

(جـ) كما أن تجديد قلب شاول لم يكن تجديدًا هزيلاً . لم يقل إنه بدأ يفكر أنه ربما كان مخطئًا . ولكنه آمن بأن المسيحيين على حق . لم يتوقف عن الاضطهاد فحسب ، بل بدأ ينادى بالإنجيل ، وكما كان كله ضد المسيح ، صار كله للمسيح. كان تجديده تجديدًا كاملاً ، مما دل على أنه لا يحمل أدنى شك فى إيمانه .

(د) لم يكن تجديد شاول كاملاً فحسب ، بل كان مستمرًا . فعندما غير شاول فكره فى طريقه إلى دمشق ، كان تجديده تجديدًا لمدة العمر . فسار بولس على إيمانه الجديد كل حياته ، رغم أن ذلك كلفه كثيرًا من الألم والتعب ... صار هزءًا وسخرية .. وكُره وعُذب ، رجم وجلد ، سُجن وتحطمت به السفينة ، وتعرض للموت مرارًا ... ولكن لم يكن ليفصله عن إيمانه هذا شيء .

وكما يقول فرانك موريسون ، فى كتابه « من دحرج الحجر » : « إن إنسانًا يكرس كل حياته لله تكريسًا كاملاً ، لا يمكن أن يكون تكريسه هذا مؤسسًا على أسس واهية ، أو على زوبعة روحية لا أساس راسخ لها ، أو على اختبار طائش سريع الزوال ».

(٧) الإيمان بلاهوت المسيح :

نادى أتباع المسيح منذ البدء ، بأن سيدهم ليس مجرد مخلص فحسب ، بل هو الرب . وكان هذا إذ حسبوه مساويًا لله فى الجوهر . الكلمة اليونانية : «Kyrios» المعربة « السيد » أو « الرب » ، معناها الأصلى : « شخص يحتل مركزًا له سلطان ». واستخدمت لتعنى « المالك » اشارة لحاكم أو لرب أسرة . وقد استخدمت فيما بعد عنوانًا للمخاطبة بين الناس « السيد فلان » .

وأهم من ذلك كله ، أن هذه الكلمة قد استخدمتها الترجمة السبعينية (وهى الترجمة اليونانية للعهد القديم) ، فى ترجمة اسم « يهوه » . ويهوه عند اليهود مساوٍ للآب . وقد استخدم هذا اللقب للمسيح لصلته باللاهوت .(*)

ولكن ، كيف عبد المسيحيون الأوائل المسيح كإله ؟

ألم يكن هذا معجزيًا ؟ فلقد كانوا يهودًا ، يؤمنون بأن الله واحد ، لا شريك له . وظل إيمانهم هذا أجيالاً طويلة . ولكن بعض اليهود آمنوا بلاهوت المسيح . فكيف كانت لهم الجرأة للتصريح بذلك ؟ وكيف حسبوا إنسانًا مولودًا من امرأة أن يكون معادلاً لله ؟ ألم تكن القيامة هى الدليل القوى الذى أثبت لهم أن المسيح إله ؟ قد يظن إنسان أن أعمال المسيح وأقواله هى دليل لاهوته ، وأنها كافية لأن تفسر لنا سر عبادة التلاميذ له . ولكنه من الواضح جدًا ، أنه قبل القيامة ، كان التلاميذ بطيئى الفهم لشخصية المسيح ورسالته . لا شك

(*) استخدمت الكنيسة الأولى كلمة Kyrios اليونانية ، لتعني : (١) وصفًا عامًا لآلهة الوثنيين ، و(٢) تأليهًا للإمبراطور الرومانى . واستخدم نفس هذا اللقب فى العهد الجديد ، حتى يمكن لليونان والرومان ، أن يفهموا شخصية « الرب» يسوع ، كما فهمه اليهود المؤمنون به .

أنهم عرفوه كالمسيا ، ولكن يخيل إلينا أنهم لم يفهموه كالله . فهذه الخطوة الأخيرة كانت تتطلب منهم إيمانًا أعمق . فإن الفكر اليهودى المحافظ لم يعتبر المسيا إلهى الأصل . فالمسيا عندهم ، رجل اختاره الله نائبًا عنه ، ولكنه إنسان بشرى ! ربما لمح بعض الأذكياء فى شخص المسيح علامات اللاهوت . ولكن — حتى هؤلاء — لابد أن أملهم قد تحطم عند الصليب . وما يدهشنا أكثر ، هو أن حياة المسيح انتهت تلك النهاية المؤلمة . وكما كان من الممكن أن يحيا فى عقول الناس أى إيمان بلاهوت المسيح بعد ذلك . فإن موته كان كافيًا لأن يلاشى إيمان الناس بلاهوته . فكم بالحرى موته على الصليب ! فالموت على الصليب بغيض جدًا على اليهودى ، وهو أشر أنواع الموت.(٥) وأمام هذا الأمر الواقع يجد اليهودى نفسه مرغمًا ألا يصدق أية علامة تدل على أن شخصًا مات مصلوبًا ، يكون هو المسيا !! فلو كان هذا ابن الله ، أما كان الله ينقذه من هذا الموت ، ويزكيه أمام عيون الجميع ؟ إن نسبة الإلهية إلى شخص مصلوب ، يعتبر تجديفًا فى نظر اليهود .

ولكن كيف نفسر ما تم فيما بعد ؟ ألم يؤيد الله المسيح إذ أقامه من الأموات ؟ ففى سفر الأعمال ، من بدايته إلى نهايته ، يظهر واضحًا أن الصليب كان محلاً للخجل والخزى والرعب عند المسيحيين الأوائل . ولم يكن ذلك الخزى والرعب ليتلاشى إلا بعد القيامة . فلقد عبدوا يسوع ، ليس بسبب رفعه على الصليب ، بل عبدوه رغم رفعه على الصليب ! عبدوه لأنه قام بعد أن صُلب . بذلك تغيرت نظرة الناس للمسيح . فإننا نرى فعلاً فى الإنجيل الرابع وفى الرسالة إلى فيلبى ، كيف أن الصليب صار مظهرًا لمجد الله . وما كان من الممكن أن يتحقق المسيحيون من هذا سوى بعد قيامة المسيح .

وأكثر من ذلك ، لم يكن الذين نادوا وافتخروا بقيامة المسيح ، هم الذين تبعوه قبل صلبه فحسب ، بل آمن بقيامته كثيرون ممن لم يتبعوه قبل صلبه .

---

(٥) انظر تث ٢١: ٢٢—٢٣، غلا ٣: ١٣

ويثير دهشتنا أكثر ، أن المسيحيين آمنوا بلاهوت المسيح ، ونادوا بذلك لكل الناس ليؤمنوا هم أيضًا به . ولكل متجدد صار المسيح ربًا وسيدًا . وكان أول قانون إيمان ، اعترف به المسيحيون منذ البدء ، وكرروه عند معموديتهم ، هو « يسوع هو الرب » . فما أدهش تلك الثورة الفكرية التى دفعت أولئك اليهود أن ينادوا بهذا الاعتراف لو قال أحدهم إن « المسيح رب » أيام أن كان حيًا على الأرض ، كان ذلك داعيًا لاشمئزاز اليهود ! ولو كان ذلك بعد الصلب ، ما كان أحد يستمع إلى ذلك الهراء من أفواه المسيحيين ! ولكن بعد القيامة ، نرى الكثيرين الذين رغم ضيق أفقهم ، وتحيزهم ، اقتنعوا وتجددوا . هؤلاء امتلأوا ثقة وإيمانًا بأن يسوع قام فعلاً من الأموات .

الفصل التاسع

شهادة ما قبل وما بعد

الأدلة التى نسردها فى هذا الفصل حقائق يمكن تفسيرها لو لم تكن هناك قيامة . ولكننا نوردها هنا ، لأن المسيحى المخلص يرى فيها دعائم أكثر ، تعاونه على التثبيت فى عقيدته عن قيامة المسيح .

١ — شهادة ما قبل — يسوع قبل القيامة :

يجب أن نتذكر دوامًا ، أن القيامة هى « قيامة يسوع » . قال ميتشان : « إن العقيدة التى ننادى بها ليست قيامة إنسان عادى ، بل قيامة يسوع . هناك اعتراض صاخب على قيامة أى إنسان عادى ، ولكن الأمر يختلف مع المسيح . فربما لا يكون من المعقول أن يقوم إنسان بشرى ، ولكن لا يكون معقولاً ، أن الإنسان يسوع المسيح ، لا يقوم !».

ينادى أرباب الشك بأن قيامة إنسان من الأموات ، أمر بعيد عن الصواب . والمسيحى يوافق على ذلك ، دون شك . إنه لا يفترض قيامة « أي إنسان » غير المسيح يسوع . فالقيامة ظاهرة غريبة عن التاريخ البشرى . ولكنها لو نسبت للمسيح ، فهى لا تبعث فينا دهشة كبرى ، إذ هى ضرورة تلصق به .

هذا ما خالج إيمان التلاميذ عندما سمعوا القصة . فبطرس مثلاً ، عندما ألقى أول عظة مسيحية ، تحدث عن يسوع : « الذى أقامه الله ، ناقضًا أوجاع الموت ، إذ لم يكن ممكنًا أن يمسك منه » (أع ٢: ٢٤) .

ولكن يعترض سائل : « ألم تذكر سابقًا أن قيامة المسيح أدهشت التلاميذ ؟» نعم ، لقد ذهلوا ! فإن قيامة سيدهم من الأموات كانت فكرة جديدة عندهم ، ما كانت تخطر على بالهم . ولكنهم ، إذ عرفوها ، أدركوا فورًا صحتها . وعندما عادوا بأفكارهم إلى الماضى ، رأوا أنه كان من المستحيل

ألا يقوم المسيح ! ونحن ، عن بعد ، يمكننا أن نرى أنه لم يوجد إنسان كهذا « الإنسان » . والتوافق ظاهر بين قيامته وحياته .. لن ينكر بشر أنه ينفرد عن البشر بشخصيته ... فهو الوحيد الذى عاش بلا خطية . ولو قلنا إنه « بلا خطية » فقط ، لا نعطه حقه من الوصف الكامل ، فهذا وصف سلبى . فحياة المسيح ، لم تكن فقط خالية من الشر فحسب ، بل كانت مليئة بالخير . وهو ينفرد أيضًا بتعاليمه . فلقد قدم رسل رؤساء الكهنة تقاريرهم عن المسيح قائلين : « لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان » (يو ٧: ٤٦) . وقد صادقت الأجيال المتعاقبة على تلك الفتوى القانونية . وينفرد المسيح أيضًا بأعماله . فأعمال شفائه للجسد والعقل والروح ، أو للثلاثة معًا . كانت مدهشة وعظيمة وكثيرة .

إن شخصية المسيح تحفزنا على الاقتناع بصدق قيامته من الأموات . ولو بقى المسيح أسير الموت ، أما كان ذلك يكون إنكارًا لوجود أى مبدأ أخلاقى لهذا العالم ؟ وأما كان ذلك يكون نقضًا سافرًا للإعلان بأن لله مكانًا فى هذا العالم ؟

دعنا نلخص هذا البحث فيما نقتبسه عن « دينى » : « لو زعم بعض الشهود أن شخصًا عاديًا ، غير يسوع ، كهيرودس أو غيره ، قام من الأموات ، أما كانت الشهادة تكون باطلة ؟ وكان بطلان تلك الدعوة يبنى على عدم تناسب المبادىء الأخلاقية مع حياة ذلك الفرد ، فكثيرًا ما ينسى الناقد الذى يعترض صحة القيامة، أنه يتحدث عن قيامة يسوع ، وليس عن أى قيامة أخرى . ولكنه يفكر عن القيامة بوجه عام ، ويعرضها على بساط البحث ، ويعتبرها أنها إحياء الجسد الراقد . ولكنه لو فهم شخصية يسوع ، لكان حل المشكلة سهلاً ميسورًا . فعلى الناقد ، أن يرى شخصية المقام ، وقيمته الأخلاقية السامية ، وبذلك يجد نفسه مستعدًا جدًا لأن يفهم قصد المسيح وتدبيره المقدس لهذا الكون ، كما يكون مستعدًا أن يدرك أن شخصية كشخصية المسيح هذه ، لا بد أنها قادرة على السمو بناموس الطبيعة المحدود » .

٢ ـ شهادة ما بعد ... شهادة الاختبار المسيحى

منذ بدأت الكنيسة ، كرس كثير من الرجال والسيدات الذين آمنوا بالقيامة من الأموات ـ أنفسهم للمسيح إذ شعروا بحضور سيدهم معهم ، وشعروا بإمكانة وجودهم معه فى شركة حبية . بل إن شعورهم بتلك الشركة كان أغنى وأقوى مما كان عليه عندما كان المسيح بينهم بالجسد ـ ولا بد أن كانت تلك الشركة أقوى من مجرد الذكرى ، قد تتذكر شخصًا عزيزًا انقضت حياته من العالم . كمن يقتفى آثار بطل مغوار ، قضى نحبه فى ميدان الجهاد . لكن شركتهم مع المسيح ، أعمق من مجرد ذكرى .. إنها شركة مع من اتخذوه مثالاً لهم . هى شركة حبية مع شخص لا يزال حيًا ، يعمل معهم فى كل وقت ومكان . ويدعم ذلك الاقتناع ، ويشهد لحيويته ، ذل الاختبار الروحى الذى نالوه . فلقد أضفى السيد عليهم قوة أخلاقية جديدة .

لقد سبق أن تأملنا فى ذلك التغيير العظيم لروح التلاميذ ونظرتهم للحياة فى أسبوع القيامة ، ودرسنا ما هو خلف هذا من معان . ولكن تغيير التلاميذ ، لم يكن عاطفيًا وعقليًا فحسب ، بل كان أخلاقيًا أيضًا . وبذلك ظهر تلاميذ المسيح بصفات من نوع ودرجة ممتازتين . وأدرك الناس أن تلك الحياة الفضلى ، التى ظنوها مستحيلة ، صارت ممكنة فى المسيح المقام . ولعلنا نلاحظ الفرق الشاسع بين حياة التلاميذ كما تسجلها الأناجيل ، ثم حياتهم بعد قيامة المسيح كما يسجلها سفر الأعمال . فلقد كانوا أناسًا عاديين ، ثم صاروا أناسًا ممتازين . وكيف تم ذلك ؟ لم يكن هذا قط لأنهم أصروا بأسنانهم ، وشمروا عن سواعد جدهم ! فلقد عاشوا حياة ، لا شك أنها أسمى من مقدرتهم العادية ـ ولكنها حياة امتلكتهم ! أليس الواقع أنهم صاروا « ممتلكين » للمسيح الحى ؟ ولا بد أن ذلك التغيير العظيم فى حياتهم كان نتيجة لتعمق شركتهم مع المسيح أكثر من ذى قبل .

سيطرت هذه الظاهرة على الكنيسة الأولى ، فى كل عصورها . وكل شخص آمن بالمسيح المقام ، ظهرت فى حياته علامات جديدة أضيفت إلى قوته

الأخلاقية . فهل كان هذا النمو الأخلاقى سوى نتيجة لإيمانه ، وعمق شركته ، وإيقاظ حياته بالمسيح المقام ؟

و لم تكن هذه الظاهرة ظاهرة وقتية فقط . فمنذ ذلك الحين والكثيرون من السيدات والرجال يؤمنون بالمسيح المقام ، ومن ثم تتغير حياتهم نتيجة لشركتهم معه . وفى العصر الحاضر ، تتحدث حياة الكثيرين عن نوالهم قوة أخلاقية من المسيح المقام . بل ربما تجد أنه لم يوجد فى عصر ما عدد من المؤمنين به ، أكثر مما تجد فى العصر الحاضر . ففى كل العالم ، وفى أماكن أكثر من ذى قبل تتجدد الجموع الغفيرة من السيدات والرجال ، بنسبة أكثر من ذى قبل ، إذ يؤمنون بأن المسيح المقام يحيا معهم ، وهم يشهدون بأنه عندما طالبوا المسيح أن يفتديهم ، سكب فى حياتهم قوة أخلاقية جديدة ، غيرتهم .

فمن البدء ، شعر المسيحيون بحضور المسيح معهم . لم يروه بعيونهم ، ولكنهم آمنوا بحقيقة وجوده معهم . وحياتهم تثبت وجود قوة وحيوية أخلاقية ، ما كانوا يمتلكوها من ذواتهم ، بل هى فى أصلها من مصدر آخر . وقد يعترض شخص ما بأن : « الاحساس بحضور المسيح قد لا يكون سوى شعور باطنى ناتج عن إيمانهم بالقيامة ». ونحن لا ننكر الصلة بين الشعور الباطنى والإيمان . ولكن المعترض قد يقول أيضًا : « إن كل تلك الحوادث التى تعبر عن التغير الأخلاقى ليست سوى احساس سيكلوجى ، ناتج عن ذلك الاقتناع الداخلى ، بأن المسيح حى ، وأن روحه ما زال يعمل ». ونحن لا نقر هذا الإدعاء . إن شهادة الاختبار المسيحى ، كشهادة ما قبل القيامة ، تختلف فى نوعها عن شهادة « القبر الفارغ »، التى سبق أن درسناها فى هذا الكتاب . ولكن لا يمكن أن نفصل بينهما . فلو فصلنا بينهما ، ربما يصرف النظر عن أحدهما . ولكن كل هذه الشهادات تقف معًا ، صفًا واحدًا ، تشهد لحقيقة القيامة . وحيث أن تلك الأدلة ليست بدائية ، وحيث أنها قوية فى تأثيرها على غير المؤمنين بالقيامة ، فالمسيحى لا بد أن يجد فى هذه الأدلة دعامة قوية تثبته أكثر فأكثر فى الإيمان المسيحى .

الفصل العاشر

قام المسيح حقًا

كنا ندرس حتى الآن ، لندلل على أن الوثائق والشهادات الواقعة لا تترك مجالاً للشك فى قيامة المسيح . وسردنا الدليل تلو الدليل لتأكيد صدق ما تم . ونحن نختتم هذا الكتاب ، بإثبات أن أى شرح للقيامة ، بخلاف ما سبق ، شرح مستحيل الحدوث .

إن عبء صحة تلك القضية الخاصة بالقيامة ، لا يعتمد على المسيحيين الذين يدافعون عن دينهم ، بل على أرباب الشك . فالذى يؤمن بصحة القيامة ، هو الذى يقبل ما جاء فى السجلات المكتوبة . ولكن عديم الإيمان هو الذى ينكرها ، أو على الأقل ، لا يوافق عليها . ولو كان يبرر رفضه لهذا الإيمان ، فهو يجد نفسه مرغمًا أن يشرح كيف كون فكرته السلبية . فالإيمان موجود منذ البدء ، ووجوده يفترض صحته . وهذا يكفى للتدليل على صحته ، ما لم يظهر دليل « طبيعى » كاف يناقضه . قال وستكوت : « ... ما لم يمكن شرح أساس الإيمان الرسولى بأسس أخرى ، فإن إيمان الرسل وحده كاف لاثبات صحة ذلك الحق ». ولكن لا يوجد شرح آخر واف .

دعنا نفترض أن المسيح لم يقم من الأموات ودعنا نحاول أن نشرح طريقة قيام وانتشار إيمان القيامة من قصص القيامة ، وتأسيس الكنيسة ، وهكذا . سوف نرى أن هذا مستحيل . فإن أبسط شرح هو أنه إن لم تكن الحقيقة المقررة زائفة ، فلا بد أن تكون صحيحة .

هناك محاولات كثيرة لتقديم تفسيرات « أخرى ». ولكن واحدة من النظريات العكسية ، لم تثبت كفايتها لشرح الفكرة . لعله من الممتع أن نرى كيف يحاول كل واحد من أولئك أن يعترض ما يدعيه غيره .

لم يمكننا فى هذه العجالة أن نسرد كل البحوث والحجج التى تدعم القيامة .

ولعل القارىء قد أحس بقوة تلك الشهادات التى جاءت . يقول وستكوت : « إن جمعنا كل الأدلة معًا ، ليس كثيرًا أن نقول ، إنه لا توجد حادثة تاريخية واحدة دعمتها أدلة أقوى من تلك الأدلة التى تشهد لقيامة المسيح وليس يوجد ما يفترض ضعفها ، سوى أن دارسيها لا يشعرون بقوتها ».

يقولون عن أخبار معركة ووترلو التى حملتها سفينة إلى الشاطىء الجنوبى لانجلترا ، ومن هناك حملت الأخبار إلى لندن على أعمدة الإشارات . وبالتالى وصلت الرسالة على عمود إشارة كاتدرائية ونتستر ... وتكررت الإشارة « هزمت ولنجتون ». وحدث صدفة أن رقعة ضباب أحاطت بالاشارة ، ووارتها عن العيون ، وانتشرت الأخبار فى البلد بسرعة أنهم خسروا المعركة . وقرابة نهاية اليوم ارتفع الضباب ، ورأى الشعب البائس ذراع عمود الإشارة يتحرك من جديد . وفى هذه الحالة ، ترددت الإشارة « هزمت ولنجتون العدو ». لم يكن الناس يصدقون هذا الخبر الجديد . ولكنه كان الحق ، وسرعان ما رقصت الدولة طربًا عندما تأكدت من نصرها .

أعلنت قصة القيامة بطريقة مشابهة لهذه إلى حد ما . ففى يوم الجمعة الحزينة ، كان منظر الصليب فوق الجبل ، ثم النهاية المؤلمة فى قبر مختوم ، اعلانًا واضحًا : « هزم يسوع » ! واستمرت هذه الرسالة فى نهاية ذلك الأسبوع تتكرر على أذهان أتباع يسوع . ولكن فى فجر الأحد ، تدحرج الحجر ، وفتح القبر ، وانتصر يسوع المسيح على الموت ، فأبرقت الرسالة : « هزم يسوع العدو ». فتحول النوح إلى طرب .

لم تكن القيامة نصرًا على الصليب . بل كما قال أ. م. رمزى « الصليب ليس هزيمة تحتاج إلى قيامة تنتصر عليه ، ولكنه نصر تتبعه القيامة وتدعمه ». فالصليب والقيامة طرفان لقصة النصر الواحدة . ولكن القيامة هى التى تنشىء النصر وتظهره .

لم تكن القيامة محدودة بذلك الزمان والمكان فحسب ، بل إن القيامة رمز

نصر المسيح من الأزل وإلى الأبد . وهذا دليل على أن قصده السامى لم يتحطم . فقوات الشر تظهر لنا عادة أقوى من قوات الخير . وقد ينفض الإنسان كتفيه استهجانًا ، ويقول : « ما فائدة اتباع الخير ؟» والقيامة توضح لنا الإجابة ، إنه مهما ظهرت الأمور فى أوقات متباينة ، بمظاهر متعددة ، فلا شك أن الخير أقوى من الشر ، والحب أقوى من الكراهية . وفى النهاية لا بد أن ينتصر الخير ، وينتصر الحب . فلو سرنا مع يسوع فى طريق النصر فالقيامة تؤكد لنا ، أنه يومًا ما ، وبطريقة ما ، سيكمل الله ملكوته .

لقيامة المسيح معنى فى حياة المسيحى الشخصية . فلو عشنا مؤمنين بالمسيح المقام ، سوف ننتصر فى معيشتنا . بشركتنا معه .

هذا يعنى النصر على الخطية . والتجربة فبالقيامة ، لا يكون لنا غفران الخطايا فحسب ، بل نصير أقوياء جدًا بالشركة معه . ولو أعطيناه الفرصة ، لخلق منا رجالاً وسيدات مجددين ، كما جدد تلاميذه وكثيرين غيرهم .

وهذا يعنى أيضًا النصر على التعب والخراب ، فاحساس الإنسان بشركة المسيح له فى حياته اليومية ، تحميه من أن يكون أسيرًا للمفشلات والمخيفات والصعوبات التى تواجهه يومًا بيوم ، وتقيمه منتصرًا على كل خسارة تأتيه ، كبيرة كانت أو صغيرة .

والقيامة أيضًا نصر على الخوف . فليس هناك مجال للخوف لشخص يؤمن بحضور المسيح معه ، مما يكوِّن عنده حالة عقلية وروحية تقوى على المخاوف .

زار لسلى ويذرهد سيدة مصابة بالسرطان ، وكانت تنتظر لحظتها الأخيرة . كانت هادئة لازمت الصمت وقد ضايقها جدًا ، أنه رغم عمل المسيح العظيم لأجلها ، نادرًا ما تحدثت عنه للآخرين . ولهذا ، وهى فى فراش مرضها ، وفى انتظارها للموت ، قالت : « أنا فخورة بهذا المرض ، لأن الله يأتمننى عليه . إنه يعطينى فرصًا فى حياتى لم يسبق لى أنى تمتعت بها ». قال لها لسلى : « قد لا تشفين من السرطان ، ولكنك قد غلبت السرطان ».

قد تثور عواصف الحياة ، وتهجم على رجل من رجال الإيمان ، كما تهجم على جاره . ولكن الأول بعلاقته القوية مع المسيح المقام سوف ينتصر أخيرًا ، سواء بحياة أو موت . بينما قد يفشل الآخر .

يذكر و. ى. فولرتون بتسلقه الجبل المشابه للجلجثة فى قرية « دومو دوسولا » فى شمال إيطاليا . وقد بنيت معابد على ضفتى الطريق إلى قمة ذلك الجبل ، صورت كلها بتماثيل من الطين المحروق فى الحجم الطبيعى للإنسان وكانت التماثيل كلها لشخص المسيح فى مراحل أسبوع الآلام ... يسوع أمام بيلاطس ، يسوع يحمل صليبه ، وهكذا . وآخر منظر هو يسوع على الصليب . وحتى هذا المنظر ترى الممر بين المعابد وقد داسته أقدام الآلاف من السائحين ، الذين ذهبوا ليروا صورة المسيح المتألم المائت . ولكن الآن ، نمت الحشائش فى ذلك الطريق ، وقل عدد الزوار ! ودكتور فولرتون ، فى زيارته إلى قمة ذلك الجبل ، رأى محرابًا متطرفًا ، اقترب منه . إنه معبد القيامة . وهو المعبد الذى لم يحظ سوى بزيارة أقلية من الناس . إن الذين بنوا ذلك الطريق لم ينسوا أن يسوع قد قام ، ولكن السائحين نسوا ذلك ، ولم يعيروا التفاتًا لمحراب القيامة ؟!!

لا تحتل القيامة مكانة أساسية فى إيمان كثيرين من المسيحيين . إنهم لا ينكرونها ، ولا يشكون فى صحتها . ولكن إيمانهم لم يصبح حقيقة فى حياتهم ! إنهم لا يدركون بعد أن المسيح قد قام ، وأنه رفيقهم غير المنظور ، الملازم لهم كل الحياة .

تسجل لنا ترجمة حياة الواعظ الشهير القس ر. و. ديل ، من برمنجهام ، كيف أنه استمر عامًا كاملاً وهو يستعد لعظة عيد القيامة . فعندما تأمل فى الفكرة الرئيسية التى اختارها عن « المسيح الحى » ، أشرق فى ذهنه نور ، وضح له معناها فى حياته . وأمام ذلك النور الكاشف ، انحنى على ركبتيه متأملاً ، ثم نهض مفكرًا فى الإعلان الجديد ، وتلك هى تعليقاته التى كتبها بنفسه : « قلت لنفسى : يسوع حى .. نعم هو حى : ثم صمت وقلت :

إنه حى ! ثم صمت فترة أخرى ، وصمت : إنه حى : هل يمكن أن يحدث هذا ؟ هل هذا صحيح ، وأنا أعيش كما أنا ؛ قمت أتمشى ، مكررًا القول : عائش ! يسوع عائش ! كانت هذه الفكرة غريبة علىّ فى بادىء الأمر . ولم أكد أصدقها ، ولكنى صمت أخيرًا ، كأنما كانت الصيحة وليدة اكتشاف جديد : نعم ، يسوع عائش . هذا اكتشاف جديد لى . لقد آمنت بها من قبل . ولكنى الآن فقط تأكدت من صحتها ».

ربما يحتاج بعضنا إلى اكتشاف مشابه ، لمعرفة حضور يسوع اليقينى معنا . قد تظهر لنا كأنها عقيدة أخرى من العقائد الصحيحة ، ولكن ليست لها صلة وثيقة بحياة الفرد العملية . نحن لا ننكرها ، كما أننا لا ننكر أن الأرض تدور حول الشمس . ولكن الإيمان بالقيامة يلعب دورًا هامًا فى حياتنا . فيسوع حى اليوم ، كما أننا نحن أحياء ...

" لا توجد رسالة أكثر دهشة من تلك الرسالة ، ألا وهى إثبات أن المسيح قد قام ، وأنه حى الآن . وليست اليوم أقل دهشة عما كانت عليه يوم سمع الناس عنها لأول مرة . ولكن يجب أن نعيش حياة كأناس يؤمنون بصحتها . لأن يسوع قام حقًا ...

منذ حوالي ألفي عام ، وفي فجر يوم الأحد ، اليوم الثالث لصلب المسيح ، ما زال ثمة سؤال فى اذهان الكثيرين من الناس : هل حقا قام المسيح ؟!!

وبالرغم من كل الشهادات التي شهد بها تلاميذ المسيح ، وكتاباتهم فى أسفار العهد الجديد عن هذا الموضوع ، ومئات الكتب والمراجع التى وضعها الكتاب المسيحيون ، ورغم الشواهد التاريخية الثابتة فى كتابات المؤرخين (حتي من غير المسيحين) فلا يزال هناك من يردد هذا التساؤل ، ومن يحاول أن يضلل ويشكك فى هذه الحقيقة بأقوال ونظريات لا تستند الى حقائق .

والكتاب الذى بين يديك هو تجميع لبعض البراهين للقيامة .. وينبغي أن نذكر دائما أن القيامة هي أساس العقيدة المسيحية لأنه « إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا ايمانكم » .



١٠١٠٤٣٠٦